رواية

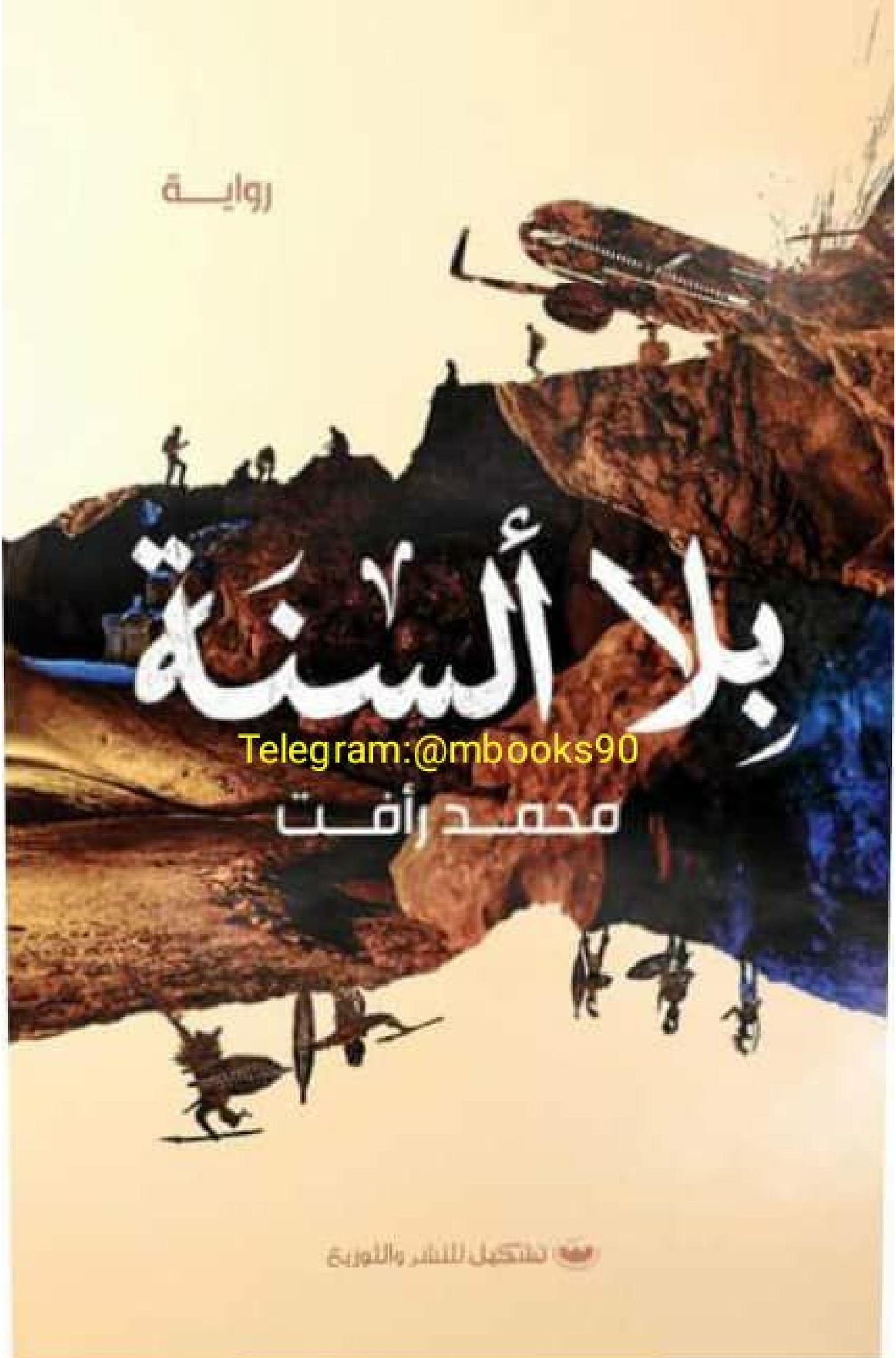

بلاد ألسنة

Telegram:@mbooks90

محمد رأفت

تشكيل للنشر والتوزيع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إهداء

إلى تلك الأشياء التي لم أهب لها نفسي طواعية، ووجدتني أنخرط فيها وأنقلب بين طياتها دون أن أشعر، ودون ضجر أصبحت ركنًا أصيلًا مني.

إلى الأحلام، الكتابة، الصداقة، إلى كرة القدم، وإلى الطب.

Telegram:@mbooks90

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مقدمة

في الكون الفسيح، في كوكبنا الخَرِب، في قارة الجهل، في بِلاد اللامنطق وبقاعة محكمة فاخرة يُنادى على المُتهم الأخير لجلسة اليوم المُرهِقة، يتقدم المتهم بخطوات رزينة هادئة تطرب لوقعِها الآذان وكأنها سمفونية من الطراز الرفيع، شفتاه لأعلى في استنكار، هامته مُستقيمة ليس كسابقيه، يُقلب نظره في الحضور بلا مبالاة، غير مُكترِث لهويتهم أو دوافع قدومهم الليلة، الشماتة أم التعاطف، الروتين أو قتل الملل، لا يهم..

انتهت خطواته الأنيقة على بُعد بِضعة أمتار من مجلس القضاة الموقر، أمر القاضي أحد العساكر بفك قيد المتهم، تحسس الرجل معصميه بهدوء عندما تحررا ثم أعاد عقد يديه خلف ظهره في وقار.

قطع صوت القاضي الكهل الصمت السائد قائلاً: حسب القوانين المطوّرة للبلاد، فأنت مُدان لإقبالك على الانتحار، وإن لم تنفِ عن نفسك ذلك الاتهام بالحُجّة والبرهان فمن المرجح التحفظ عليك لحين الانتهاء من تقويم سلوكك وإصلاح معتقداتك، أشعر بالأسف لعدم تواجد هيئة دفاع للترافع نيابة عنك، لكن كان ذلك بُناء على طلبك، لذا فالكلمة لك، فلتدافع عن نفسك.

قابل المتهم كلمات القاضي بابتسامة هازئة وظل شاخصًا بالأرض دون النظر للقضاة ودون أن ينبس ببنت شفة.

استشاط القاضي غضبًا حين شعر بأن كلماته كانت كالتُرّهات بالنسبة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

للمتهم، فأطلق سؤاله بحزم وغضب: لماذا أقبلت على الانتحار؟ ما ردك على تلك الجريمة؟

***

لا جدوى من تكرار القاضي لاستفساراته عشرات المرات تقريبًا، أشار القاضي لمعاونيه في تعجب ونفور طلبًا للنصيحة، هل يُصدر حكمه دون الاستماع لحُجج الدفاع!

لكن قبل أن يأخذ القاضي بمشورة هذا المستشار أو ذاك، رفع المتهم رأسه بحركة سريعة ونظر شذرًا إلى القاضي قبل أن يُرسل كلمته الأولى - والتي انحبست على إثرها أنفاس الحضور -: حُجج الدفاع!!

عن ماذا أدافع؟! لمَ أدافع؟! أمام من أدافع؟!

من أنت لتحاسبني؟! هل تعرفني؟!

هل سمعت دوي صرختي عندما عانيت؟! لا، كُنت وحدي.

هل تبللت سُترتك بدموعي وقت النحيب؟! لا، بل سُترتي.

هل أقمت ظهري عندما انكسرت؟! لا، كُنت وحدي.

هل مددت إلي يدك عندما سقطت؟! لا، كانت أيادي العالم مبتورة عن مساعدتي.

هل شاركتني فترات ضعفي؟! هل أضأت عتمتي؟! هل انفطر قلبك

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لشكواي؟ هل خرجت بي من الأنفاق المظلمة؟!

ألف هل، وألف لا!

أنا فعلت كل ذلك وحدي، جففت دموعي وأقمت ظهري وأضأت عتمتي ونهضت وحدي!

وعندما أصبحت عاجزًا عن فعل ذلك مرة أخرى، عندما أصبحت غير قادر على مساعدة نفسي، رأيت في الانتحار سبيل الراحة.

فتأتي أنت مرتديًا بزَّتك الأنيقة وبكل وقاحة تسألني لماذا أقبلت على الانتحار؟!

سيدي القاضي.. أنا لا أُحب الكوميديا السوداء أبدًا، لكن حقًا، يجب أن توجه ذلك السؤال لنفسك أولاً، ثم للسادة الحضور، للمجتمع والناس، للمقربين والأصدقاء، حاكمهم على كوني قد أقبلت على الانتحار..

لكنك قطعًا لن تفعل ذلك، وقطعًا لن يعترف أحدهم بتقصيره، وقطعًا لن يرى أحد هؤلاء الأنبياء نفسه في موضع خطأ أو أنانية، لذا فيجدر بك محاكمتي لكوني قد فشلت في الانتحار، أو تأخرت في الانتحار، أو أنني أعطيت لكل هؤلاء العبثيين أدوارًا في حياتي آلت بي في النهاية لما أنا عليه الآن، يمكنك محاكمتي على أي شيء وكل شيء، سوى محاكمتي على إقدامي على الانتحار!

أغلق "راسيل" مفكرته بعدما أنهى كتابة هذه المقطوعة التخيلية التي ينوي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المشاركة بها في مسابقة الجامعة الإبداعية، كان راسيل في الفرقة الثالثة بعد أن قضى خمسة أعوام في دراسة الصيدلة بالجامعة المحلية، لكن ذلك الرسوب لعامين لم يكن لضعف مستواه أو استهتاره وتغيبه عن الحضور أو ما شابه كما هوالحال في معظم الحالات، لكنه دخل هذا المجال مُرغمًا، لم يكن يحب الصيدلة إطلاقًا لكنه - كأغلب الشباب - انصاع لرغبة والده خوفًا من صدام مؤكد معه إن خالف إرادته.

لم يكن لراسيل أخوة، ووالده مارتينيز كان أحد أكبر تجار الأغذية في دولته، كانت تجارتهم رابحة بكل المقاييس، يسيطيرون على السوق المحلية بجدارة، يحكمون قبضتهم على غالبية المستوردين إحكامًا منقطع النظير، تجارة نزيهة لا تشوبها شائبة ولا يعكر صفو نجاحها ملاحقات قانونية أو ما شابه..

ولكن مثل هذا النجاح يتطلب طاقات هائلة وقدرات متعددة، وبالفعل لم يكن العمل لمارتينيز بمفرده، بل كان يشارك أخيه بيدرو هذه التجارة، لكن لسوء الحظ لا تسير الدنيا بسلاسة دائمًا، لابد من وجود بعض الآفات التي تهدد نجاح العمل، لعل كبرى تلك الآفات هي العلاقة غير المحمودة بين الإخوة، مارتينيز وبيدرو..

النزاعات بين الأخين ضاربة بجذورها في أعماق العلاقة، لتجعلها هشة قابلة للتحطم في أي وقت دون سابق إنذار، هذه الهشاشة يقابلها الربح المُدَرّ من الشراكة التجارية الذي هو بمثابة الضمادة التي تغطي جروح الخلاف الغائرة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن والد راسيل إلى والدته، هي سيدة من النوع الذي يفضله الرجال المتسلطون أمثال مارتينيز، كقطعة أثاث منزلية لا تملك حق الاعتراض على إزاحتها من مكان لآخر، أو كجهاز راديو لا يدلي بدلوه ولا تسمع صوته إلا حينما تضغط زر التشغيل بإرادتك، والمتحكم دائمًا مارتينيز.

تزوجها مارتينيز لكونها تنتمي لعائلة تتحكم في وسائل نقل البضاعات كطائرات الشحن والسفن وخلافه، كانت زيجة لأغراض ربحية ليس أكثر، وهو ما ليس بغريب على مارتينيز.

على الجانب الآخر كان بيدرو يختلف بعض الشيء عن أخيه، كان رجلاً ذا مبادئ - بقدر المستطاع - وعقل حكيم، كان يحب زوجته للحد الذي جعله ينجب منها سبعة أطفال بينهم ذكر وحيد لا يتعدى عمره العامين، هذا الرضيع كان كنز أبيه الأثمن، لم يكن بيدرو يسيء معاملة راسيل أو يكنّ له أي نوع من أنواع الكره، كان يعتقد أنه لا ذنب لراسيل في الخلافات العائلية..

على عكس المتوقع - نظرًا لعدد الأطفال في الجانبين - كان بيدرو يصغر مارتينيز بخمسة أعوام، لكن مارتينيز اختار بمحض إرادته أن ينجب راسيل فقط، لا يريد ملء حياته بضوضاء العديد من الأطفال والالتزامات الروتينية والمطالب السخيفة في حد رأيه، وأغلب الظن أنه أنجب راسيل كي لا تظن به الظنون التي تدفع الرجال لزيارة طبيب أمراض الذكورة لأغراض معينة أو تناول العقاقير المحفزة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كان راسيل قد أُجبر على التعرف على أغلب تفاصيل العمل، كان يدرك الكم الذي يجعله مؤهلاً لقيادة العمل مستقبلاً بغض النظر عن مدى حبه لذلك العمل وبغض النظر عن مجال دراسته التي أُجبر عليها هي الأخرى، كان يعلم توزيع الأدوار، والده مارتينيز بالإدارة وإبرام التعاقدات مع المستوردين، عمه بيدرو بقيادة الرحلات التجارية وشراء البضائع الصالحة للصناعة، مارتينيز بمتابعة المصانع وجيش العمال الغفير، وبيدرو في استقدام العمال أنفسهم، وباقي موظفي الإدارة والمتابعة هم من رجال مارتينيز فقط حيث لا يسمح لأخيه بدس أي عناصر من اختياره في الإدارة.

وبالطبع دور راسيل الأساسي هو مجاورة عمه في كل رحلاته التجارية كممثل عن أبيه الذي لا يثق في أصابع يديه.

***

وصل راسيل إلى الميناء الجوي في تمام السابعة صباحًا لمصاحبة عمه في الرحلة الثالثة لهذا العام، كانوا يقومون برحلات ربع سنوية، أي رحلة كل ثلاثة أشهر بموجب أربع رحلات في العام..

وجهة الرحلة كانت إحدى الدول المطلة على البحر الكاريبي، سينتقل راسيل مع عمه بيدرو إلى هناك عن طريق طائرة هليكوبتر، ويعودا على متن سفينة البضائع والعمال التي وصلت إلى هناك سلفًا، ومع انطلاقة الطائرة من الميناء، تنطلق قصتنا!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(1)

بداخل مروحية تسع حوالي ٤٠ راكبًا أو أكثر من السهل أن يشعر راسيل بالملل، وخصوصًا وأن عدد الركاب لا يكاد يملأ نصف سعة المروحية، راسيل يجلس بجوار عمه الذي لا ينفك عن النظر في أوراقه ولا يجد ضررًا في قضاء الرحلة بأكملها غارقًا في حساباته ومنصبًا فوق خطط التنسيق من أجل الظفر بأكبر فائدة ممكنة من هذه الجولة التجارية، كي تنجح تجارته من جهة، ومن جهة أخرى - أكثر أهمية - كي لا يترك ثغرة لأخيه المتسلط مارتينيز يؤاخذه عليها عند عودته، في الجهة المقابلة لراسيل يجلس الطبيب المرافق للرحلة، كان يدعى فويث، يعرفه راسيل مسبقًا لتردده على أبيه كثيرًا سواء في مقر العمل أو بالمنزل، فويث يقضي قدرًا يسيرًا من وقته في تصفح بعض المجلات الطبية على هاتفه الخاص، أما الجزء الأكبر من وقته كان مخصصًا لقراءة كتاب ينتمي لأدب الرعب اصطحبه معه للتسلية، ولا يقطعه عن قراءة الكتاب سوى بعض الاستفسارات من العمال على متن المروحية والذين يتراوح عددهم بين ثلاثة لتسعة عشر عاملاً حسب تقدير راسيل الذي لم يهتم لعددهم بالتفصيل، أحدهم يسعل والآخر يشكو من آلام صدرية، والأغلب يستغل فرصة تواجد فويث معهم فيطرح ما في جعبته من أسئلة طبية كان يخطط لزيارة الطبيب بسببها، لكن الآن الأسئلة مجانية ولا حاجة للانتظار إلى آخر الشهر والحصول على الراتب، رأى فويث أنه طالما يجيب أسئلة العمال كلها فإنهم لن يتوقفوا عن السؤال، لذا قرر إغلاق كتابه وإغلاق عينيه ليأخذ قسطًا من الراحة، أو لعله يتظاهر!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أما العمال فظلوا بأماكنهم بعيدين بعض الشيء عن مجلس راسيل وعمه والطبيب، يتسامرون فيما بينهم وتتجلجل ضحكاتهم أحيانًا، حاول راسيل أن يجد تسليته في إمعان النظر بأوجه العمال واختلاق قصص خيالية لكل منهم بناء على نظراته أو نبرة صوته أو ملامح وجهه الفاضحة التي تشف بعض المشاعر التي يسهل على راسيل تمييزها، فكالعادة قليل الكلام يكون دقيق الملاحظة..

أمضى راسيل بعض السويعات بين نسج القصص عن العمال والانتقال إلى كابينة القيادة لمتابعة الجبال الشاهقة وغابات الأشجار المتشابكة والشواطئ الصافية التي يمرون فوقها، جغرافية هذا المكان ساحرة حقًا، كتلك التي يتخيلها الرسامون في لوحاتهم الزيتية القيمة، أو الصور التي تستخدمها الحكومات ترويجًا للسياحة، ولكن بجوار القائد شعر راسيل ببعض الغثيان جعله يعود إلى جوار عمه كي لا يشعر بالحرج إن تقيأ بالطائرة، هو لا يعرف أيًا من العمال، فقط الطبيب الذي لم يتحدث معه البتة، وعمه بيدرو..

وكأغلب أوقات الصبي، سيطرت عليه خيالاته المظلمة، تلك الأفكار السامة التي تنهش في نواحي عقله مرارًا وتكرارًا، التفكير في دراسته التي لم يخترها وسنوات عمره التي يهدرها إلى جوار أبيه في تجارته التي لا يجد بها شغفه!

في أمه التي لا تتخذ موقفًا أو تمتلك رأيًا أو تمنحه ما يجعله يشعر بالدفء الأموي الذي فتش عنه بها دائمًا ولكن هيهات!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في الكم الهائل من الناس الذين يعرفهم ويعرفونه، الأقارب، زملاء الدراسة، الجيران، ولم يجد بهم الصديق الحق أو من يتفهمه ويتقبله بشكل كامل كما هو، في وحدته وسط كل هؤلاء..

وبمشاريعه الكتابية التي لا تتغير عن كونها مشاريع! لم تتم إلى كتاب ينشر باسمه، لم تصبح نصًا في مجلة تتناقلها الأيدي وتتفحصها الأعين، ولم تتم لسيناريو يُشاهد في السينما، ولم ولم ولم ولن!

لمَ؟ لأن والده يراها سخافات، ولأنه لا يمتلك الجرأة الكافية للخوض في غمار التجربة دون مباركة والديه، أو والده على وجه التحديد الذي إن صفق ستتبعه زوجته بالتهليل دون شك، لأنه دائمًا ما يتقي شر عقاب الوالد المتسلط حينما يعلم أن ابنه قد قرر شيئًا ما دون إذنه، وكان ما زال طفلاً يذهب إلى المدرسة الإبتدائية متشبثًا بيد أمه ويودعها بحرارة، هو حتى لا يتذكر تشبثه بيد أمه التي إن اختفى خلفها خشية أبيه، لم تحرك ساكنًا للدفاع عنه واكتفت بالبكاء!

لم يشعر راسيل كم من الوقت أنفقه في مجابهة أفكاره التي لم يهزمها سابقًا، دقائق أو ساعات لا يستطيع التحديد من فرط إغراقه في التفكير، ولكنه استفاق على ابتسامة ارتسمت على وجه الطبيب فويث وهو ينظر إليه، لم يعلم ماهيتها أهازئة أم متعاطفة؟!

تساءل راسيل في نفسه هل يملك الطبيب فويث قدرات تجعله يقرأ ما كان يفكر به؟ ثم أجاب نفسه مسرعًا بالتأكيد لا! هذا فقط من خوفي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الزائد.

يالراسيل من مسكين يمقت نفسه كثيرًا ولا يرى بها سوى العيوب!

عينا الطبيب فويث كما هما شاخصتان محدقتان بوجه راسيل الذي احمر لشعور صاحبه بالخجل، حاول راسيل تدارك الموقف فألقى بنظره على كتاب الطبيب ثم قال: ستيفن كينج!

Telegram:@mbooks90

الطبيب: نعم، هل قرأت له؟

راسيل مسرعًا: بالتأكيد قرأت له ولأغلب الأدباء المعروفين وغير المعروفين.. وأخذ يعدد الأسماء التي قرأ لها..

الطبيب وعلامات الدهشة على وجهه: كل هذا؟! لابد أنك مثقف وتخصص وقتًا كبيرًا للقراءة، أم قد أجبرت على ذلك؟

راسيل لم يفهم ما يرمي إليه الطبيب فأجابه: عذرًا لم أفهم قصدك يا سيدي؟

فويث: قد تكون انطوائيًا مثلاً!

أخفض راسيل عينيه وأجاب بهدوء: لا يا سيدي، أنا فقط أحب القراءة.

أشار الطبيب إلى راسيل ليجلس إلى جواره فقام راسيل من مجلسه بجانب عمه - الذي غرق في سبات عميق بعدما أنهكته الإحصاءات المعقدة - وجلس حيث أشار الطبيب، سأله الطبيب: لم أحسستك حزينًا في إجابتك

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عن سؤالي؟

لم يجد راسيل - رغم بلاغته - في بحر مصطلحاته ما قد يشكل جملة تصلح للإجابة على الطبيب فويث، ذلك الرجل المهذب صاحب العقل الحكيم الذي واصل الحديث بلطافة ليجر راسيل إلى الحديث جرًا، سأله عن دراسته واستوحى من إجاباته عدم رضاه بها رغم أن راسيل لم ولن يصرح بذلك أبدًا، فقد تشعر بذلك الملائكة وتنقله لأبيه مثلاً، يا له من شاب بقلب مراهق ومخاوف طفل، أو يا له من أب متسلط عنيد غرس شجرته الخبيثة في قلب ولده الخصب بالقوة التي تمنعه من اقتلاع جذورها بعدما مرت به السنون وأصبح راشدًا مسؤولاً!

واصل الطبيب الأسئلة عن أصدقاء راسيل وأقاربه وهواياته وفيما يقضي وقت فراغه وعن كذا وكذا وكذا، وراسيل - الذي أسعده وجود من يحاوره أخيرًا - يجيب بطلاقة أحيانًا ويتلعثم في حروفه غالبًا..

صمت الطبيب قليلاً ثم تنهد وقال لراسيل: إجاباتك لا تتفق مع ما أنت عليه، تخبرني عن أصدقاء كثر وأقارب أكثر وعلاقات لا حصر لها، لكن لا حصر أيضًا للشواهد التي تخبرني بكونك منعزلاً! لم لا تحدثني بصراحة؟

هل تزعجك استفساراتي؟ كنت فقط أود أن نكون أصدقاء، كما ترى لا أصدقاء لي في هذه الرحلة سوى عمك بيدرو المشغول دائمًا.. وحسبتك كذلك أيضًا، قبل أن أتحدث إليك لم أكن أعرف طبيعة صوتك حتى!

أجاب راسيل في خجل: الأصدقاء يتحدثون مع بعضهم دون خوف من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إطلاع الآخرين على ما قيل، أليس كذلك؟

الطبيب: بالتأكيد! وإلا لماذا نطلق عليهم أصدقاء إذن؟

ثم داعبه قائلاً: هيا يا فتى تحدث دون خوف وأكد لي أن فويث العظيم لا يخطئ في قراءته للأشخاص أبدًا.

ثم أطلق ضحكة وقورة تليق بهذه الهيبة التي تلازمه أينما حل!

شعر راسيل بالطمأنينة بعض الشيء وأن الكلمات بداخله تسيل وحدها من بين شفتيه دون أن يدري فقال: أصبت يا سيدي، في الآونة الأخيرة لقد تفطنت لأمر ما، أنني وحيد!

وحيد جدًا، وليست الوحدة المُراد بها العُزلة عن البشر في كهف مَهجور ما حوله، أو بُرج عالٍ مترفع عن الجوار، أو حتى غرفة هادئة مستقلة عن منزل العائلة الضخم، لكني أرمي إلى المعنى الأصعب، وحدة الفرد وسط الجموع، الوحدة التي أجدني فيها هائمًا بين مغارات عقلي، غُربة النفس وسط البشر، لا مثيل لها، لا أحد يفهمها، يرعاها، يتقبلها بشكل كامل، لا أحد..

وتطاردني الأفكار، تنهكني الاستفهامات التي يُسلطها عقلي على نفسه!

لِمَ الوحدة بكل ما أوتيت من علاقات، البشر يملؤون كل جنبات رأسي، لكنهم يتركون روحي خاوية، أو أنهم لو تركوها خاوية فنعم ما فعلوا، لكنهم حاولوا - عن قصد أو دون قصد - طمس هويتها ومحو ما يميزها، حاولوا إطفاء نورها الهزيل الذي بذلت جُل طاقتي كي أحافظ على كونه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يُضيء بعض المساحات البسيطة داخلي!

وقصدت أنه الأصعب حيث أنني عالق بتلك الوحدة! فإن كنت في برج شاهق لهبطت، ولو كنت في كهف بعيد لعُدت، لكن روحي بعيدة، بعيدة جدًا، أتوق إلى عودتها، ولا أعلم هل تتذكرني! أم أنني أصبحت صورة فوتوغرافية لمسخ لا هوية له، ولا روح!

كانت كلمات راسيل بمثابة الفيضان الذي اشتد فهدم سد الخجل وأزاحه لينطلق في ربوع البلاد فيغرقها، وكانت البلاد هذه هي قلب الطبيب فويث وعقله! الرجل سقط في زوبعة من المشاعر، التعاطف والشفقة، الضجر مما آل إليه فتى بهذا العمر، الحزن والذهول!

همس بكلمات بسيطة قائلاً: حقًا، لقد أخطأ فويث في قراءة الشخص الذي أمامه للمرة الأولى فوق ظهر هذه المروحية! اعذرني يا بني لقد أسأت تقديرك لتلعثمك في البداية، لكن من الآن نحن أصدقاء، وفور إنهاء هذه الرحلة السريعة أعدك بأنك ستتجاوز كل ما بداخلك، وستجد مكانك بالعالم رغمًا عنه.

راسيل وقد أصابه بعض الخوف: ماذا تقصد برغمًا عنه؟

فويث: رغمًا عن العالم يا بني، رغمًا عن العالم وظروفه.

هدأ راسيل بعدما علم أن الطبيب لا يقصد والده، ثم عبر للطبيب عن سعادته البالغة بهذه الصداقة والوعد الذي قطعه على نفسه ثم سأله: إذن كم من الوقت سيستغرقه عمي لإبرام صفقاته والعودة؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الطبيب: سويعات قليلة يا بني، عمك قد أنهى كل الاتفاقات مسبقًا، فقط سيدفع الأموال ويتأكد من البضائع ونعود مرة أخرى، لن نستغرق يومًا حتى.

راسيل: خال لي أنه لم ينتهِ من ذلك عندما رأيته منهمكًا في الحسابات.

الطبيب ضاحكًا: قد تكون حسابات صفقة أخرى أو أجور العمال والمروحية والسفينة، أو أجر فويث مثلاً.

ضحك راسيل للمرة الأولى تقريبًا بهذه الرحلة وانفرجت أساريره، تبدلت مشاعره بدرجة كبيرة، أصبح يرى في الطبيب شعاع ضوء ينير العتمة التي تسكنه، وأصبح متلهفًا للعودة لمباشرة رحلة التحول والانفتاح للحياة على يد فويث..

وبينما يفكر راسيل في ذلك سمع أحد العمال ينادي بنشاط مخبرًا إياهم بأن قائد المروحية يقول أنهم قد وصلوا، وما هي إلا دقائق حتى تهبط المروحية، وهو ما زاد من حيوية راسيل وابتهاجه..

قام راسيل وأيقظ عمه وجهز أغراضه والجميع يتأهب للنزول، بعد دقائق كان كل من بالمروحية قد خرج منها وانتعش بالنسيم العليل، وكعادته لم يترك بيدرو الوقت للعمال بالتنزه أو ما شابه، بل على الفور قادهم عبر بضعة وسائل مواصلات للوصول إلى مكان شحن السفينة بالبضائع، وصلوا إلى هناك غير متأخرين وتبادل بيدرو السلام والتحيات مع التجار ثم ذهب للاطمئنان على العمال الذين سبقوه بالسفينة، كان راسيل والطبيب فويث

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قد جلسا على مائدة وسط عدد كبير من الموائد مخصصة لهم وللعمال لتناول الطعام قبل العودة مرة أخرى بالبضائع، شرعا في التهام الطعام ولم ينتظرا بيدرو الذي كان يتم التعاقد ويتأكد من جودة البضائع، ولا العمال الذين شرعوا في نقل البضائع للسفينة بسرعة ونشاط بعدما تفقدها بيدرو..

لم يطل الأمر لوفرة عدد العمال، أربعون عامل انتقلوا بالسفينة وعشرون بالطائرة - ليس كما قدرهم راسيل - قد أنجزوا نقل البضائع في وقت قياسي ثم ذهبوا إلى موائد الطعام فانقضوا عليها ولم يفرغوا منها إلا وهي خاوية حتى من البقايا التي تُعطَى للحيوانات، حتى أن بعض العمال رأوا وجوههم في صحون الطعام الناصعة بشدة.

انقضت الساعات بسرعة وبدون ملل، حتى تأهب عمال السفينة للعودة إلى أماكنهم، وعمال المروحية، وكذلك الصديقان حديثًا راسيل والطبيب فويث للعودة إلى المروحية، ولكن راع انتباه راسيل صياح عمه بيدرو في وجه التاجر صاحب البضائع، وحركات يديه الغاضبة وانفعاله غير المألوف بينما التاجر يقف عاقدًا يديه خلف ظهره ويتحدث مع بيدرو بهدوء مستفز، همّ راسيل بالتحرك سريعًا تجاه عمه ليرى ماذا يحدث ليجنّ جنونه بهذه الطريقة..

ما إن وصل حتى كان عمه يضرب الأرض بمشروبه الذي بيديه ناطقًا ببعض البذاءات في حق التجارة والرحلة والعمل وكل هذا، اتجه راسيل بكلامه صوب التاجر الهادئ سائلًا إياه: ماذا هناك؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التاجر البدين: من أنت؟

راسيل: ابن مارتينيز ومساعد عمي في هذه الرحلة.

نظر التاجر لراسيل بغضب قد مُزج بالاحتقار قائلاً: ابن مارتينيز، جيد، السفينة التي أرسلها مارتينيز لنقل البضائع لا تصلح لذلك، سعتها لا تتحمل البضائع أبدًا.

راسيل موجهًا كلامه لعمه: هل هناك زيادة عن الكمية المقرر نقلها سلفًا؟

بيدرو دون أن ينظر لراسيل: لا، لكن السفينة المتفق عليها لم يرسلها مارتينيز.

قبل أن يستفهم راسيل عن السبب واصل التاجر البدين: لقد أرسل لنا والدك سفينة تنجح بالكاد بنقل نصف البضائع مع العمال القادمين معها، ولا نعلم أسبابه الواضحة، لكن مثل هذه الأشياء غير غريبة على والدك، تارة يفعل ذلك دون وعي، وتارة لعدم ثقته في بضائعنا واتفاقات عمك فيجبرنا على إرسال النصف فقط، وتارة أخرى للحد من المصروفات الخاصة بالشحن.

استكمل بيدرو: وأغلب المرات لإحراجي أو إصابتي بالجنون!

راسيل في حرج شديد: إذن نعتذر عن ذلك يا عمي، وننقل ما يمكننا نقله ونسترد الأموال الباقية على أن تتولى الأمر فور عودتك مع أبي، أو حتى ننقل النصف ونترك النصف الآخر مدفوع الثمن لرحلة أخرى.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نظر بيدرو لراسيل نظرة تملؤها الخيبة قبل أن يتحدث التاجر قائلاً: الأمر هذه المرة أكبر من اعتذارك يا فتى، فقد وضعنا شرطًا في اتفاقنا مع بيدرو بأن الأموال المدفوعة لن تسترد حتى وإن لم ينقل صندوق واحد من البضائع، نحن أوفينا بعهدنا ووفرنا البضائع في الوقت المحدد..

راسيل: إذن نلجأ للحل الثاني، وسيتكفل عمالنا بتفريغ البضائع من الصناديق وإعادتها.

التاجر: يؤسفني إخبارك بأن الثلاجات التي تحفظ البضائع قد امتلأت عن آخرها ببضائع أخرى، للأسف اعتذارك هو والعدم سواء!

أطرق راسيل مليًا يفكر فيما ابتعد بيدرو قليلاً متحدثًا بهاتفه في غضب ثم عاد بعد أن أنهى مكالمته وهو يسب أخاه بأفظع الألفاظ مفسرًا أن بالفعل

Telegram:@mbooks90

مارتينيز كان فعل ذلك لغرض مزدوج، لتوفير مصاريف الشحن ولإحراج بيدرو، لكنه لم يضع في حساباته احتمال امتلاء الثلاجات الذي قد يودي بالأموال والبضائع سويًا، ثم قال بيدرو بعد أن هدأ قليلاً مخاطبًا التاجر: نأسف على ذلك الموقف السخيف، ولا نطلب منك سوى استقدام أي سفينة شحن إضافية تساعدنا في الأمر..

التاجر: بيدرو، أنت تعلم أن لا علاقة لنا بسفن الشحن، نحن نعطيك البضائع ليس إلا، وإن افترضنا محاولة الاستعانة بأقرب سفينة أو طائرة شحن سيستغرق الأمر وقتًا حتى تصل لنا ونعبئها..

بيدرو: نحن مضطرون، سننتظر ذلك الوقت، لا عليك.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التاجر: لم يصل إليك قصدي، أخشى أن أخبرك بأن البضائع خرجت من الثلاجات منذ مدة ليست بالقليلة، الوقت يكفي فقط للتحرك بها صوب دولتكم وتفريغها في ثلاجاتكم الخاصة قبل استخدامها في التصنيع، فبالتالي إن انتظرنا أي وسيلة شحن أخرى ستتلف البضائع في طريق عودتكم قبل أن تصلوا، وستخسر الكمية بأكملها..

راسيل: إذن ما رأيكم بأن ننقل البضائع ونترك بعض العمال هنا ونعود إليهم بالمروحية؟

بيدرو: تصريح شركة الشحن التي أمدتنا بالمروحية لا يعطينا الحق في ذلك، وإن أردنا النقاش معهم فور عودتنا سيكون أول ما يوقع علينا هو العقوبات ثم فسخ التعاقد لانتهاك بنوده، ونفقد أموالنا التي دفعناها في التعاقد لأننا الطرف المخل..

حينها تذكر راسيل جملة القائد العربي طارق بن زياد التي قرأها في كثير من الكتب، "أيها الناس.. أين المفر، البحر من ورائكم والعدو أمامكم"

أما بيدرو فيبدو أنه قد حسم قراره سريعًا دون تفكير، وقال للتاجر: إن وضعنا البضائع كاملة بالسفينة، كم تسع من العمال إلى جانبها؟

التاجر: وزن البضائع نفسها أكبر من احتمال السفينة، لذا تترك معها أقل عدد من العمال للعناية بها، على ألا يتجاوز الخمسة.

إذن يتبقى من الستين، خمسة وخمسين عامل، بالإضافة لراسيل وبيدرو والطبيب، يصبح العدد ثمانية وخمسين، المروحية سعتها أربعون راكب، إن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ركب هذا العدد المروحية ستفوق سعتها هي الأخرى بثمانية عشر راكب، يا له من مأزق سخيف!

في النهاية، ما بين المخاطرة بخسارة الأموال، أو بالانتظار لوسيلة شحن أخرى والمخاطرة بالبضائع اختار بيدرو حلاً ثالثًا، قرر أن يركب السفينة ثلاثة عشر عامل، ليصبح عدد ركاب المروحية خمسون راكبًا، وبذلك تزيد عن سعة المروحية بعشرة ركاب وعن سعة السفينة المحتملة بثمانية، يبدو هذا الحل الأكثر منطقية واقتنع به راسيل، اتفق بيدرو على ذلك مع التاجر وكلاهما لا يتوقف عن لعن مارتينيز بين الفينة والأخرى، وراسيل لا حول له ولا قوة، لا يدافع عن أبيه إطلاقًا، قد يكون ذلك بواقع الخجل، أو قد يكون بدافع افتقاد عاطفة الأبوة والتي كادت أن تصل إلى الكره في قلب راسيل تجاه أبيه..

استدعى بيدرو قائدي الطائرة والسفينة - إلى جانب التاجر البدين - وأخبرهما بما ينوي القيام به، وهو ما لاقى اعتراضًا واسعًا من الشخصين لاحظه راسيل رغم ابتعاده، لكن ما هي إلا دقائق معدودة تحدث فيها بيدرو معهم بصوت منخفض حتى عادا أدراجهما وهما موافقان على ما اقترحه بيدرو، يبدو أنه عرض عليهما زيادة الراتب، بالتأكيد هذا هو الدافع الذي يعمي أعين المرء ويبدد مخاوفه في هذه الأيام العصيبة.

انصرف راسيل نحو فويث الذي كان يداوي بعض الجروح الطفيفة التي أصابت بعض العمال. أثناء نقل البضائع ثم سأله: هل لا ترى غرابة في أن يتعاقد معك والدي وعمي فقط لمداواة تلك الجروح البسيطة؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ضحك فويث وأجابه: لديك حق، نادرًا ما يصاب أحد العمال بضرر يستحق تواجد طبيب مصاحب للمجموعة، لكن هذا مفروض على كل الشركات التي تقوم برحلات تجارية من قبل أجهزة المراقبة التابعة للحكومة، أما بالنسبة لأبيك وعمك فلو كان الأمر عائدًا لهما لتركا الرحلة بدون ضمادات طبية من الأساس حتى وإن كانا متجهين لصيد حيوانات برية مفترسة، لديهما وفرة من العمال.

بدا راسيل مقتنعًا بالإجابة التي تناسب أفكاره كثيرًا ثم همّ بالتحرك مع العمال والطبيب وعمه نحو المروحية، وبيدرو لا يتوقف عن التهديد والوعيد لمارتينيز فور عودتهم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(2)

راسيل تحدد مكانه إلى جوار قائد المروحية التي أصبحت تعج بالركاب حتى فوق طاقتها، وبالتأكيد بمجرد الإقلاع لم يتوقف العمال عن التحدث وإحداث الضجيج الذي كان يتوقعه راسيل تمامًا، انصرف راسيل عن هذا الإزعاج بالنظر إلى المشاهد الطبيعية الأخاذة، نفس الجبال الشاهقة والشواطئ والغابات التي شاهدها في الذهاب، لكن ليس نفس الانطباع في الإياب، بل رآهم راسيل أكثر جمالاً وبهاءًا وشاعرية، وكأن الجبال ازدادت طولاً، والبحار ازدادت زرقة، وأشجار الغابات في تشابكها كالأصدقاء المتحابين المتعانقين، ودّ راسيل لو وقف فوق قمة أحد الجبال ورأى المشهد من هناك، كل هذا طبعًا هو تأثير فويث، تتغير نظرة الإنسان للحياة ومناحيها وفقًا لما بداخله، ما نراه بالعالم هو انعكاس لما نكنه له..

بدأ راسيل يسبح في خيالاته التي أصبحت وردية للمرة الأولى منذ زمن بعيد، لكنه كان مقدر له الشقاء! استفاق على فاجعة!

يبدو أن قائد المروحية أراد لراسيل تحقيق غايته برؤية المشهد من فوق أحد الجبال!!

المروحية كانت تتعطف بشدة مع الرياح نحو قمة أكثر الجبال طولاً وآخر جبل بالسلسلة المتتابعة، بكل تأكيد الآن القائد فقد السيطرة ولكنه لا يزال يحاول جاهدًا في التحكم، لكن هيهات.. في غضون ثوان بدأ القائد في الصراخ كأنه رضيع يريد حليب أمه، لكنه أبلغ من الرضيع بقدر بسيط

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حيث ينطق بكلمة واحدة: اقذف.. اقذف.. اقذف!!

ظن راسيل أنه يركب مروحية حربية لسماع هذه الكلمة ولم يتسع خياله لما هو أكثر من ذلك حيث ذعر بعدما رأى المروحية تنهار باتجاه الجبل بسرعة شديدة، لم يقو حتى على إزاحة نظره من الجبل وهو يقترب نحوه أكثر فأكثر فأكثر حتى صارت الأحجار فوق الجبل على مرمى بصره بتفاصيلها، والطرق الجبلية بتعرجاتها واضحة أمامه عن كثب، أقل من خمسة أمتار بين المروحية والجبل الآن، ثم..

فقد راسيل وعيه ولم يدرِ بما حدث..

***

كم من الدقائق مرت؟ أو من الساعات؟ أو من الأيام؟ أم لم يمر الكثير، أم أن عمر راسيل قد انتهى ليتولى آخر بطولة هذه القصة!

أم أنه استفاق بالطائرة من ذلك الحلم المروع الذي رآه وهو نائم بجوار الكابتن بكابينة القيادة؟

دعني أخبرك الحقيقة، ليستأنف قصته، استفاق راسيل على وجه مذعور لم يتحقق منه بالدقة التي تؤكد هويته، الأجواء أمام عينيه ضبابية بعض الشيء، لكن بمرور الوقت اتضحت الرؤية شيئًا فشيئًا، الوجه المذعور كان للطبيب فويث، على إحدى قمم الجبل الأكثر طولاً وعرضًا بالمنطقة، كان أغلب العمال متضرعين لربهم باختلاف دياناتهم، يصلون ويدعون بأن يفتح راسيل عينيه، ذلك الشاب الهزيل الصامت المسكين، وبعدما بذل فويث

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الغالي والنفيس من مجهوداته ومهاراته وموارده الطبية في مداواته واستجداء العون من كل العمال في التضرع والدعاء والصلاة، استفاق راسيل أخيرًا، فويث ضم رأس الصبي وهو يحتضنه وينظر هو إلى السماء وهو يطلق الزفير وكأنه كان يكتمه منذ أن شرع في مداواته، العمال حمدوا ربهم على جلاء مصيبة راسيل، لكن في الواقع كانت هي أصغر المصائب، البعض مصاب بكسور والكل بجروح، ثلاثون عامل والطبيب وبيدرو وراسيل وقائد المروحية فوق قمة أحد الجبال، تبدو سحب السماء أقرب إليهم من الأرض بمئات الفراسخ، لا زاد ولا مياه، ولا حتى دواء، بعض المكسورين جبروا والبعض الآخر نفدت الجبائر قبل علاجه، لا يعلمون وجهتهم، مروحيتهم تحطمت، لم يتبق منها سوى بعض شعلات النار التي تضيء لهم الأجواء في هذا الظلام الدامس وتوفر ندرة من التدفئة في هذا البرد القارس، بيدرو يدخن سيجارًا كان قد تبقى بحوزته ويفكر فيما حدث!

ظن أنه عندما خير بين المخاطرة بالأموال أو المخاطرة بالبضائع اختار الحل الأمثل، لكنه اكتشف أنه اختار المخاطرة بالأرواح والأموال والبضائع مجتمعين، تحطمت المروحية، تعثر متابعة وصول السفينة للبر، تسعة عمال لم تجدِ معهم محاولات فويث المشتت بين الجميع وحده ولقوا حتفهم في الحال فيما تعثر الحصول على ثمانية آخرين، هل سحقتهم المروحية بين حطامها، هل احترقت أجسادهم أو سقطوا في الهواء قبل الاصطدام، هل صادف سقوطهم مساحة جبلية منحدرة ليست بهذا القدر من التسطح كالذي سقط الأغلب فوقه أم ما زالوا على قيد الحياة، لا أحد يعلم! كابتن السفينة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أصيب بجروح غائرة وكسر في إحدى اليدين، أما فويث وبيدرو فقد كانا أقل المضرورين، وربما هي إرادة القدر ألا يصاب الطبيب بأذى فيهلك الجميع من بعده، ولا يصاب قائد الرحلة بيدرو بأذى فتتشتت الجماعة في آرائها، بعد ذلك علم راسيل بأنه فور فقدانه الوعي احتضنه الكابتن وقفز به مبتعدًا عن الكابينة، وبغير ذلك لماتا سويًا في الحال حسب المتوقع..

جلس راسيل ممتلئًا بالضمادات لكثرة الجروح في كل نواحي جسده ورأسه، يرتجف من البرد ويرتعد من الخوف، لم يتعرض لأي موقف مشابه سابقًا، حاول فويث طمأنته ببعض الكلمات وأخبره أنهم قرروا أن يبيتوا بأماكنهم حتى الفجر، ثم يحاولوا النزول من الجبل إن كانت منعطفاته سانحة، أو يلوحوا لأي مروحية أو طائرة تمر فوقهم حيث أنه طريق بضائع مشهور. ومثل تلك الحوادث تتكرر كثيرًا، والأهم أنهم نجوا من الموت عند التصادم، ما بقي يستطيعون تدبره..

استراح راسيل جزئيًا لكلام الطبيب ولكنه لم يقدر على النوم في هذه الظروف، وكذلك الطبيب الذي أعطاه كتاب ستيفن كينج الذي كان يحمله واقترح عليه القراءة به قليلاً حتى ينسى ما هم فيه..

راسيل: يا له من سوء طالع! حتى الكتاب الذي ينبغي أن أجد فيه التسلية يكون من تصنيف أدب الرعب!

ضحك الطبيب ضحكة باهتة فيما قد واصل راسيل: على أية حال سأقرأ حتى أغفو..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

انهمك راسيل في القراءة فيما هزم النوم جميع من حوله بما فيهم بيدرو والطبيب، لكن راسيل تعلق بالكتاب وبدلاً من أن يساعده على النوم فقد جذب انتباهه وأسال لعابه لمعرفة القدر الأكبر من الأحداث، على كلٍ كان ذلك أفضل من أن يقضي الوقت مستيقظًا يحدق بالنجوم ويتخيل سيناريوهات كارثية يبدع في نسجها بخياله..

بعد فترة لاحظ راسيل أن الرياح أصبحت أشد بالقدر الذي جعل الكتاب يسقط من بين يديه مرات عدة، وواصلت في الزيادة حتى أصبح لا يقوى على تحمل ذلك البرد، فرأى أنه من الأسلم أن يقترب من النيران التي لا تزال مشتعلة وسط الحطام وتحميها من الريح بقايا المروحية، وما هي إلا خطوات بتجاه النيران حتى انزلقت قدماه على أرض منحدرة لم يكن يراها وسقط متدحرجًا حتى علقت ثيابه بطرف حجر ضخم يمنعه من السقوط في تجويف يؤدي إلى قلب الجبل لا يعلم أحد مداه، هب الجميع من نومهم فزعين على صوت السقوط وصياح الشاب ونحيبه، المشهد مهيب، مُعلق من بنطاله في طرف الحجر، جسده يقابل التجويف وظهره لهم، لم يمتلك الشجاعة الكافية ليحاول الالتفاف والتشبث بالحجر خوفًا من أن يفلت بنطاله من الحجر قبل أن يلتف التفافة كاملة ويتمكن من الإمساك به، قد يسقط في أي لحظة بباطن الجبل، اتجه العمال وعمه بيدرو نحوه بحذر والفتى كف عن البكاء والنحيب وتسمر دون حركة ومن الجلي أنه فقد الوعي مجددًا، الطبيب يراقب عن كثب ويوجه العمال في حركتهم حتى يبتعدوا عن أي منحدرات فيسقط أحدهم مصطحبًا راسيل إلى الأسفل، اقترب منه أحد العمال

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكابتن المروحية الذي عزم على إنقاذ حياة راسيل مرة أخرى وأصبحوا على وشك التقاطه من ثيابه المعلقة، لكن ما لم يكن في الحسبان يباغتك فجأة! هبت الرياح بقوة لم يحتملها الثنائي فوق هذه الأرض غير المستوية فتعثرا فوق الحجر الذي يتعلق به راسيل ليسقط ثلاثتهم في هذا التجويف السحيق غير معلومة مصائرهم..

ارتعد بيدرو والطبيب وصاحا في العمال بفزع ليحثوا بعضهم على خلع ثيابهم العلوية ومحاولة ربطها بإحكام صانعين حبلاً يحاولون إنزاله في هذا التجويف العميق لمحاولة إنقاذهم، وحاثين البعض الآخر للتفتيش وسط حطام الطائرة على أي شيء قد يفيد في ذلك!! وانطلقا هما الاثنان أيضًا يبحثان هنا وهناك..

بيدرو يعلم في قرارة نفسه أنه إن عاد إلى موطنه دون راسيل فإن مارتينيز سيفتك بابنه الرضيع دون هوادة إرضاءًا لغروره وإشباعًا لثأره وحفاظًا على اسمه التجاري المرموق، هو لا يعلم مدى حب أخيه لابنه لكنه يعلم تمام العلم مدى حبه لنفسه، لذا فإن بيدرو قد قرر إن لم يعد من هنا برفقة راسيل، فإنه سيقفز خلفه ليواجه نفس مصيره ويترك لولده الرضيع فرصة الحياة دون أن يدفع ثمنًا لم يقترف له إثمًا..

انهمك الجميع في البحث ثم عاد أغلبهم نحو التجويف مرة أخرى وكل منهم قد أحضر ما وجده وظن مجرد الظن أنه قد يفيد، ولكن حينما عادوا كانت الأزمة تفاقمت بطريقة لم يتوقعها أكثرهم تشاؤمًا؛ حوالي ثلاثين رجل بمظاهر غريبة وأجسام وثيقة يحيطون بهم من كل الاتجاهات، لم ينطق أي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

منهم ببنت شفة من هول الموقف!

وقبل أن يتداركوا الموقف فيما بينهم هجم عليهم الرجال في لحظة واحدة وحملوهم كأنما يحمل الرجل رضيعه وألقوا بهم واحدًا تلو الآخر في نفس التجويف الذي سقط به راسيل والكابتن..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(3)

تخيل أن طائرتك تحطمت، فقدت طريقك للعودة، تنام فوق جبل شاهق في ظلام دامس وبرد قارس، ثم تحاط برجال لا تعرف عددهم، يلقونك في تجويف إلى باطن الجبل، إن لم تمت من الفزع، ستموت من الارتطام بالصخور الكائنة بآخر تجويف عميق لا تعرف مداه، لكن منذ متى لا تفاجئك الظروف؟

سقط الرجال فوق طبقات سميكة رأسيًا وعريضة أفقيًا، لا يعلمون مما تتكون لكنها كالمراتب الإسفنجية أو ما شابه، سقط الجميع واحدًا تلو الآخر دون اصطدام ببعضهم البعض، اثنان من هؤلاء الرجال - سكان هذا التجويف - يقفون إلى جوار هذه الطبقات التي تستقبل الساقط من أعلى ويسحبانه على الفور حتى لا يصطدم به من يليه ويضعانه في صف إلى جوار من سقط قبله وهكذا، تسقط تلتقط تصطف في حركة ميكانيكية بديعة وكأن العمال في مصنع مارتينيز بقطاع التعبئة والتغليف، بيدرو شاهد ابن أخيه كأول المصطفين يليه العامل الذي سقط معه ثم كابتن الطائرة، راسيل استعاد الوعي بعد السقوط من أثر الاصطدام ربما، أو ربما لهذا الشعب الغريب أساليبه الخاصة في مثل هذه الظروف..

راسيل الذي لا يتوقف عن نسج القصص والروايات في خياله الواسع، يبدو وكأنه يعيش إحدى روايات الفانتازيا التي يكتبها، يقف متجمدًا يتفحص المكان وساكنيه، كأنه بوادٍ حجري، الجدران حمراء اللون والأرض

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كذلك، لكنه يبدو انعكاس النيران التي تملأ جنبات المكان، راسيل حينما سقط ظن أنه يوم الحساب وزج في الجحيم، أو أنه يحترق وسط حطام الهليكوبتر، بفعل الكم الهائل من النيران التي رآها، لكن عندما تدقق النظر تراها داخل صناديق ليست مصمتة، بل جوانبها على هيئة قضبان مصنوعة من مادة ما تكفي قوتها وصلابتها لاحتمال النيران دون انصهار..

بعد ذلك قيدوهم بالسلاسل من أيديهم وساقوهم في طريق مستقيم
Telegram:@mbooks90
حتى منتصف المكان أو دعنا نطلق عليه الوادي كما اعتاد راسيل، الطبول تقرع بضراوة لتبعث روائح الخوف في الهواء والتي كمت كل الأفواه.. كانوا سائرين بين صفين من سكان هذا الوادي يحدوهم من كل جانب ويهاجموهم بنظرات مرعبة هويتها الغضب وشعورها الكره، الناس هنا أشداء سواء الرجال أو النساء تظهر عليهم علامات القسوة والحزم وعلى أجسامهم آثار الشقاء، حبيبات العرق على عضلات الرجال المكشوفة تلمع في عينيك لتعطيك إيحاء بالقوة المفرطة، القليل من الرداء الأحمر يغطي القليل من أجسادهم، الغالبية خمرية البشرة والأقلية سوداء اللون تماما كمصير راسيل ورفاقه الذي يلوح في الأفق..

وتبدو الفوارق بين السكان والرجال الذين هاجموهم وقيدوهم جلية، السكان كما ذكرنا يرتدون الحرير الأحمر، قطعة واحدة تغطي عورات الرجال وقطعتين للنساء، أساور سوداء على المعصمين للرجال وعلى الرقبة للنساء..

أما الباقون ولنطلق عليهم الجنود، يرتدون نفس الأزياء الحريرية لكن باللون الأزرق، الأساور حمراء للدلالة على الدم وتزين المنطقة من المعصمين

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حتى أسفل المرفقين بقليل، منقوش عليها رسومات لحيوانات مختلفة، البعض أسود والبعض دببة وأقلية منهم قرود كما لاحظ راسيل نقوش لنسور أو عقبان وحجلان.. بيد كل منهم رمح أو سلاح رماية أو هراوة وهي عصا ضخمة ذات رأس مدبب تستخدم كسلاح وعلى رؤوسهم خوذات صلبة..

انتهى السير بهم عند مساحة دائرية واسعة جدًا، يحيط بها السكان من كل جانب، ما عدا عند هذا الجدار المزين، جدار عظيم على رأس الدائرة أُسدلت عليه الكثير من الأقمشة الملونة بألوان مختلفة لكنها مشتركة في كونها تدعو للرهبة، كالأسود والأزرق والأحمر، وفي وسطها رسم ظهر رجل عظيم القامة يحمل مطرقة حديدية ضخمة على كتفه ويغطي الحرير الأخضر عورته ونصفه الأعلى كاملًا، ويلبس خوذة مصنوعة على نحو غريب..

ظل راسيل محدقًا في هذه الرسمة المهيبة قبل أن ينتبه لما هو أكثر هيبة، هذا الرجل الذي يراه من ظهره مرسومًا على الأقمشة رآه يجلس الآن فوق مقعد خشبي يعلو عما حوله بكثير، يلبس رداءه الأخضر وتلتف حول عنقه قلادة ذهبية مصنوعة بمهارة لم يرها راسيل في بلاده، بدت معالم خوذته الغريبة واضحة، كانت خوذة خشبية!

تعجب راسيل منها، هل لخوذة خشبية أن تحمي رجلاً من ضربة هراوة على رأسه!

لكن في هذا الوضع كانت الخوذة أقل ما يعيره راسيل انتباهًا، فقد شاهد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بعض الرجال يتوشحون بالأسود ويتوجهون للجلوس على مقاعد خشبية بسيطة إلى جوار مقعد الرجل الضخم، لابد أنه ملكهم، لكن من هؤلاء الرجال أصحاب اللحى البيضاء والأوشحة السوداء الذين يرددون كلمات عجيبة بلكنة هادئة وبلغة لا يعرفها راسيل أو أي ممن معه، دائمي النظر في السماء، يمسكون ببعض الأحجار الصغيرة زاهية الألوان في أيديهم ويمشطون لحاهم باليد الأخرى، ويتقلدون بالعديد من القلائد الذهبية.

ضرب ملكهم بمطرقته ضربة قوية على الجدار خلفه فتوقف قرع الطبول في الحال، واصطف السكان في احترام. تقدم أحد الجنود حاملاً لوحة خشبية وبعض الأحجار الطباشيرية في يده، يا لها من عدم ملائمة، وسط هذه الأجواء المهيبة يتقدم جندي بطباشير ولوحة خشبية كسبورة لهذا الملك الضخم! هل حان موعد حصة الحساب في مدرسة الجبل الابتدائية؟

وكما هو متوقع رسم الملك بعض الرموز الغريبة بالطباشير على اللوحة الضخمة ثم جلس على كرسيه مرة أخرى، ظن راسيل أن هذه الرموز لها علاقة بالنقوش التي رآها على أساور الجنود منذ قليل، لكن كان هذا غير صحيح..

بعدما شاهد الجنود هذه الرموز التي رسمها ملكهم قاموا بتغيير الطريقة التي صفوا بها راسيل ورفاقه، فبدل أن كانوا مصطفين في صفين طوليين خلف بعضهم البعض، جعلوهم في تسعة أو عشرة صفوف عرضية خلف بعضها..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بيدرو كان يدقق مع الرجال صاحبي الرداء الأسود محاولاً فهم ما يقولون، الرجل يتقن العديد من اللغات ولابد أنه يعرف اللغة التي يتحدثون بها..

هم لا يتوقفون عن الهمهمة وهو لم يستطع تفسير همساتهم لذا تقدم بضع خطوات نحوهم قبل أن يفاجئه جندي بلكمة قوية على صدره طرحته أرضًا، قام بيدرو ممتلئًا بغضبه وقطع السكوت السائد وسط جماعته منذ أن سقطوا في باطن الجبل وصاح في وجه الجندي ببضع كلمات مستخدمًا جميع اللغات التي يتقنها أو حتى يعرف بعض كلماتها، منذ أن سقطوا اقتصرت أصواتهم على التأوه والبكاء، والآن تحدث بيدرو بوضوح، لكن لا جواب من الجندي أو أي فرد، بل أخذوا ينظرون إلى بعضهم البعض في توتر ممزوج بالعصبية، ثم تقدم أحد الجنود الأشداء إلى بيدرو وبادره بلكمة قوية أخرى أسقطته على الأرض وأسقطت قلوب جماعته في أرجلهم، من خلف هذا الجندي القوي تقدم جنديان نحو بيدرو، أحدهم ثبّت جذعه وكتفيه في الأرض والآخر وضع يديه فوق فم بيدرو وفتحه بقوة حتى كاد أن يقسم وجهه إلى نصفين، وفي حركة سريعة تقدم صاحب اللكمة ومد يده في فم بيدرو المفزوع واقتلع لسانه بكل سهولة كأنه يقطف زهرة ذابلة مثلاً! لم يستخدم سكينًا ولا خنجرًا ولا حتى حبلاً! فقط أصابعه وقبضة يده!!

بعدما شوهد هذا المشهد المرعب ساد الهلع في نفوس رفاق بيدرو ونتج عنه الصراخ والنواح من أغلبهم بكلمات متشابهة طالبين الرحمة منهم وراجين النجدة الإلهية، وكان هذا أغبى ما فعلوه، حيث انقض بعض الجنود على

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كل من فتح فمه بالاستنجاد أو الصراخ وكرروا ما حدث مع بيدرو بالضبط، الأمور باتت جلية وواضحة، هم لا يريدونك أن تفتح فمك إطلاقًا، لا تتحدث أبدًا مهما كانت كلماتك، الهدوء التام ضرورة قصوى!

راسيل كاد أن يشاركهم النواح لولا أن كابتن المروحية وضع يده على فمه بسرعة، الكابتن باتريك كان قد فهم بفطنته أنهم لا يتحدثون منذ أن رأى رموز الملك الطباشيرية وربط ذلك بكونه لم يسمع أيًا من الجنود يتحدث معهم لِحثهم على التقدم بسرعة حينما كانوا يسوقونهم نحو ساحة الملك، بل كانوا يحثونهم على ذلك بوخزهم بالهراوات أو الرماح في مؤخراتهم، وحتى لم يسمع وابلًا من الشتائم يمزق أذنيه من السكان حينما كانوا يسيرون بينهم وهم الذين رموهم بنظرات الغضب والكره..

ونفس ما فعله الكابتن باتريك فعله الطبيب فويث مع العمال المحيطين به ولكن ليس بالتكميم بل بالإشارات السريعة التي التقطها البعض بحنكة ولم يفهمها البعض الآخر فكان مصيرهم فقد ألسنتهم..

عمَّ الصمت على من لم يتحدثوا رغم انخلاع قلوبهم وهم يشاهدون أصحابهم محمولين لوجهة لا يعلمونها وألسنتهم مُبعثرة على الرمال الخفيفة والحصى الذي اختلط بلون الدم، لم ينبس أحدهم ببنت شفة لكن نفوسهم تتسابق في الدعاء للنجاة من تلك الكارثة وإن كانت لا تضح لهم طريقة ما، ظلوا على حالتهم هذه حتى اجتمع رجال الجزيرة بعدما فرغوا من إبعاد أصحاب الألسنة المقطوعة من المنطقة وأخذوا يرسمون بعض العلامات والرموز على الرمال، لم يتحدث أحدهم إطلاقًا، يبدو أن تلك هي طريقة تواصلهم، لا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كلمات ولا حديث، فقط رموز وعلامات، بينما راسيل - وكان ضمن الناجين من قطع الألسنة طبعًا - يفكر في والدته التي كانت ترفض ذهابه إلى هذه الرحلة في قرارة نفسها، لكنها بالتأكيد لا تقوى على إبداء ذلك أمام أبيه، ماذا إن تحلت بالشجاعة لمرة وحيدة أمام مارتينيز وأعلنت رفضها ذهاب راسيل إلى هذه الرحلة، خصوصًا أنها كانت المرة الأولى التي يطلب منها راسيل أن تطلب من أبيه إعفاء راسيل من هذه الرحلة لأنها تحتاجه في أمر ما مثلاً، لم يلجأ الشاب لأمه في أي مرة بهذا الطلب إلا هذه المرة لأنه كان يريد إرسال مشاركته في مسابقة الجامعة بأسرع وقت ممكن، لكن كالعادة خذلته أمه رغم طلبه، حتى وإن كان مارتينيز سيرفض طلبها، على الأقل كانت ستخرج من قائمة اللوم التي وضعها راسيل برأسه الآن لمن وضعوه بهذا الموقف، أبوه، عمه، الكابتن باتريك، أمه، وخوفه الذي حال بينه وبين مجرد الطلب من أبيه ألا يذهب في هذه الرحلة، لكن يُغفر ذلك للكابتن الذي أنقذ حياته مرة، وأنقذ لسانه مرة، وسقط معه بالتجويف وهو يحاول إنقاذه مرة..

Telegram:@mbooks90

راسيل تفهم الأمر الآن، عندما سقط التقطه سكان أو جنود هذا الوادي هو والكابتن باتريك والعامل الذي سقط معهم ثالثًا، وبسقوطه تفهموا وجود رفاقه بالأعلى وهموا بالقبض عليهم وإلقائهم بالوادي وهو ما نجحوا فيه، هم يتواصلون بالإشارة أو الرموز ويكرهون التحدث أو لا يحق لأي منهم التحدث سوى هؤلاء أصحاب اللحى البيضاء الطويلة والقلائد الذهبية.. ما هذا المكان العجيب وما هي قواعده؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كيف لمثل هؤلاء أن يتواجدوا في عصرنا هذا؟؟

مساكن وأزياء توحي لك بأننا بالعصر الحجري، لغة بالرموز وكأنها هيروغليفية القدماء المصريين!

هل بعثوا من جديد؟؟ هل تركوا مصر التي نراها في شمال أفريقيا وسكنوا الجبال؟ يخططون للقيام بحضارة جديدة تغزو العالم؟

هل هؤلاء كأهل الكهف الذين نقرأ عنهم في كتب المسلمين؟ هل ناموا في سبات عميق فلم يشهدوا ما يشهده العالم؟ التطور الصناعي والتليفونات والكهرباء وأجهزتها، صناعات الحروب الثقيلة وشبكة الإنترنت!!

لا يتسع المجال لذكر كل ما فات هؤلاء الذين لابد وأنهم ناموا لقرون عدة!

هل هذا ثقب أسود وسقطنا فيه؟! هل هذا مشابه لمنطقة مثلث برمودا التي نسمع عنها القصص والأساطير؟

أظن أن الناس هنا إن تحدثت معهم عن الديناصورات سيؤكدون وجودها خارج هذه الجبال!

بل أنت لا تستطيع التحدث معهم من الأساس، لم يتوصلوا للغات ناطقة!

أو توصلوا للغات ناطقة وحرموها على عامة الشعب والجنود؟

هل هذا تمييز عنصري؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لا لا، بالتأكيد ليس كذلك، ملكهم نفسه لا ينطق!

ما الفرق بين أصحاب الرداء الأسود والبقية؟ وما لغز استخدام الرموز دون الكلمات؟ هل يقدسون الهدوء لهذا الحد؟

كيف ذلك وقرع طبولهم يصم الآذان!

وبينما راسيل يكاد أن يفقد عقله وهو يفكر في ماهية هذا المكان وما يحدث له ولرفاقه في هذه الرحلة، أقبل الجنود نحوهم لتقسيمهم، كل جندي من الجنود يسوق رجلين من المجموعة التي أسروها نحو كوخ من الطين والخشب، طوله ضعفا عرضه، ويحرسه رجل بخوذة على شكل ثور لا تُظهر من وجهه سوى القليل وبيده مطرقة حديدية لكن بنيته الجسدية مختلفة تمامًا عن سكان الجزيرة، كان الحارس أقصر طولاً وأقل عرضًا وليس مفتول العضلات كرجال الوادي، لم يدرِ راسيل هل هذا هو حال جميع الحراس على الأكواخ أم حارس كوخه فقط لكنه لم يكن بالأمر المهم للتفكير فيه وسط أحداث تلك النائبة بالتأكيد..

أُلقي راسيل في كوخ ما برفقة العامل الذي كان يحاول إنقاذه عندما سقط، واكتمل ثلاثي السقوط الأول بضم الكابتن باتريك لهما بعدما لم تتسع الأكواخ الموجودة لعدد الحضور الكامل.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(4)

استيقظ راسيل على صوت غريب، أشبه بالدق على شيء معدني باستخدام عصا قوية، كان هناك عشرات الرجال لا الجنود يقفون أمام الأكواخ ممسكين بأحجار قوية وكتلة معدنية دائرية الشكل ويستمرون في إحداث هذه الأصوات القوية بشكل متناسق في آن واحد كأنها أصوات عرض عسكري دقيق، رغم هذه الأجواء المرعبة لكن راسيل ورفيقيه كانوا قد سبحوا في نوم عميق بالأمس حيث كانوا منهكين بدنيًا وذهنيًا، والآن استيقظ الجميع وخرجوا خارج أكواخهم، الأكواخ تقع كلها في نفس المكان، متقاربة وعلى أبعاد متساوية من بعضها البعض..

قام رجال هذا المكان - الذي ذكرنا أن راسيل يطلق عليه الوادي وسنحذوا حذوه في ذلك - بتقسيم أسراهم إلى مجموعات ويبدو وكأن التقسيم قام على أسس عمرية، أفراد كل مجموعة يتقاربون في السن من بعضهم البعض، أما راسيل والعامل الذي يرافقه في كوخه بالإضافة إلى عامل آخر يدعى داني كانوا الأصغر سنًا بفارق ليس بقليل عن البقية، لذلك خرجوا خارج ذلك التقسيم ليشكل ثلاثتهم مجموعة، إذن لدينا ثلاث مجموعات، مجموعة تضم الطبيب فويث والكابتن باتريك وبعض العمال الأكبر سنًا وهي متوسطة في العدد، ومجموعة تضم العمال الذين تتراوح أعمارهم بين الخمسة وعشرين إلى خمسة وثلاثين عامًا، وهي أكبر مجموعة من حيث العدد، والمجموعة التي تضم الثلاثي الأصغر سنًا كما ذكرنا..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بعد ذلك تقدم بعض رجال الوادي لقيادة الثلاث مجموعات إلى أماكن مختلفة، وصل جماعة من الرجال بفريق الطبيب فويث ومن معه إلى مكان ما أشبه بغرفة جبلية حيث تلقى بعض الحيوانات مكومة فوق بعضها، لابد وأنهم اصطادوها، لكن من أين؟ لا أحد يعلم، جدران هذه الغرفة مليئة بالنقوش لرموز ورسومات مختلفة، بعد ذلك تقدم أحد الرجال وأشار إلى رمز ما على الجدار، كان رمزًا لدائرة صغيرة ثم أشار إلى رسمة بجواره لرجل يذبح فريسته، الرسومات كانت عالية الوضوح وشديدة الدقة، انتقل الرجل بعدها إلى رمز آخر يشبه المستطيل وإلى جواره رسمة أخرى للفريسة وإلى جوارها جلدها الخاص، أي أن هذا الرمز يشير إلى سلخ الفريسة بتجريدها من جلدها، فهم الطبيب ومن معه ما يرمي إليه آسروهم، سيوكلونهم ببعض الأعمال، وبما أنه لا يوجد لغة تواصل بين الآسر والأسير في هذا المكان حيث لا علم باللغات الناطقة وتجريم التحدث بما لا يفقهونه، فإنهم جهزوا هذه الرسوم على الجدران لخلق سبيل للتواصل فيما بينهم، بعد ذلك انصرف أغلب رجال الوادي فيما عدا رجل واحد بالإضافة إلى حارسين كانا على مدخل الغرفة من البداية، هذا الرجل كان يحمل وشمًا على صدره من الناحية اليمنى على شكل هلال، لذا - وعلى نحوغريب من حيث المصادفة - أطلق فريق الطبيب فويث بأكمله تقريبًا لقب "صاحب الهلال" على هذا الرجل..

خرج صاحب الهلال لدقائق معدودة من الغرفة ثم عاد وبدأ في مباشرة عمله بقيادة هذا الفريق في العمل، أشار إلى علامة ما فهمها البعض وقاموا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بترتيب الحيوانات المكومة ليملؤوا بها أرض الغرفة، ومن لم يفهم الإشارات على الجدار انتظر ليرى ما سيقوم به زملاؤه لينفذه معهم، بعد ذلك واصل صاحب الهلال إدلاء التعليمات لعماله واحدًا تلو الآخر، إن ساروا على نحو صحيح لا يقوم بإيقافهم، أما إن لم يؤدوا ما يطلب كما ينبغي فإنه يقوم بالتصفيق بقوة فيتوقف الجميع، ثم يتقدم ليؤدي العمل بنفسه فيريهم الطريقة التي يجب أن يسلكوها في إتمام الأمر، وفي حالة عدم فهم الجميع للرمز على الحائط لعدم الوضوح فإنه يتم العمل بنفسه أيضًا فيفهمون القصد ويحفظون دلالة الرمز، ولكن هذا ندر حدوثه لدقة الرسوم اللامتناهية وكأن فنانين ونحاتين عالميين هم من قاموا بصياغتها على هذا النحوالبديع والمثير للدهشة..

أما المجموعة الأكبر عددًا والأشد صحة ونشاطًا فقد اقتادها الرجال إلى المكان الذي يتناسب العمل به مع مواصفاتهم المختارة بعناية، كان أوسع من أي مكان آخر في باطن هذا الجبل، مساحة كبيرة يحرسها عدد كبير من الحراس كما يعمل بها العديد من الرجال قاطني هذا الوادي، إنه مكان استخراج الذهب الذي رأيناه يزين صدر ملكهم والرجال أصحاب الرداء الأسود واللحى البيضاء بعدما صاغوه بروعة إلى قلادات بديعة، الأعمال التي تطلب هنا ليست كثيرة كالتي نراها في غرفة تقطيع لحوم الحيوانات، البعض وُكِّل بالحفر والبعض بالتكسير والبعض الآخر بتعبئة وحمل ما يتم استخراجه في صناديق خشبية إلى غرفة ما بعيدة عن مكان الاستخراج ولا يدخلها أي من الأسرى قط، عليها حراسة مشددة وكأنها غرفة الملك، بالتأكيد هي الغرفة التي يخزنون فيها الذهب أو يقومون بصياغته بطرق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مختلفة، الأمور تسير بتنظيم من المستوى الرفيع، وكأن النظام هنا مقتبس من أحد مصانع الذهب والحلي في أقوى الدول تقدمًا صناعيًا، مع الفوارق الشاسعة في الإمكانيات..

انتقالاً إلى المجموعة الثالثة ترتيبًا وعددًا، نجد أن راسيل ورفيقيه لم يتم إسناد أحد الأعمال الواضحة إليهم، بل في بعض الأحيان يطلب منهم - عن طريق الرموز وتمثيل الأعمال كما عهدنا - أن يحملوا ما تم تقطيعه من لحوم إلى غرف إعداد الطعام، وأحيانًا يقودوهم إلى خزانات حجرية مليئة بالمياه، كأنها برك أو بحيرات صغيرة، يملؤون منها أوعية بسعة معينة ويحملونها إلى غرف إعداد الطعام أيضًا، هذه الغرف تعمل بها نساء الوادي وبعض النساء اللاتي لاحظهن راسيل وظن أنهن ممن تم أسرهن سابقًا لاختلاف أشكالهن وملابسهن عن الشكل والزي التقليدي للنساء هنا، جال في عقل راسيل أنه قد تم اختيار ثلاثتهم لمثل هذه المهام لأنهم الأصغر سنًا فلا حرج من اختلاطهم بالنساء لبضع دقائق في العمل، وأصابه بعض الضجر لهذه الفكرة التي تنقص من ذكورته، لكن هذا الضجر زال مع إقباله على مهمة أخرى تتطلب مجهودًا أقل من سابقيها، طلب منه حياكة بعض الجلود والإسفنج لصناعة هذه المراتب التي سقط عليها عندما وقع في هذا التجويف وألقى عليها باقي رفاقه، هذا الإسفنج الذي رآه أجاب سؤالاً من ملايين الأسئلة التي كانت تشغل خلده وهو من أين لهم هذه الأشياء؟ حيث أنه رأى مقاعد المروحية التي كانوا يستقلونها مقطعة ومحمولة لباطن الجبل ليأخذوا منها الفائدة بصناعة هذه المراتب، وبنفس الطريقة لابد وأنهم قد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

استفادوا بحطام الطائرة في صناعة أي مما يصنعونه هنا..

كان العمل يستمر طيلة النهار وبعض ساعات الليل، القليل جدًا من أشعة الشمس تتسلل إليهم من بعض الشقوق لتشعرهم بتعاقب الليل والنهار وأنهم ما زالوا على سطح الدنيا التي يعرفونها ولم ينتقلوا إلى كوكب آخر تسكنه هذه المخلوقات العجيبة لا ليل به ولا نهار. وبما أن الأسرى يقومون بالكثير من الأعمال ولم يتم قتلهم فور القبض عليهم فمن البديهي أن ترى رجال الوادي حريصين على نشاطهم وقوتهم، كانوا يقدمون لهم الطعام باستراحة منتصف اليوم مرة، ومرة أخرى ليلاً بعد انقضاء يوم العمل، وجبتهم كانت بعض اللحوم، أحيانًا نيئة وأحيانًا مشوية، أو دعنا نقول محترقة بأثر النيران، ومعها وعاء متوسط الحجم به ماء، في بداية الأمر عانى الجميع كثيرًا من هذه الوجبات، لكن مع توالي الأيام وخواء البطون وكثرة الأعمال، تصبح مستعدًا لتناول الحصى على الأرض والارتواء بإنتاج جهازك البولي..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(5)

مرت الأيام على هذه الشاكلة، لا حديث ولا تجمع ولا أي شيء، فقط العمل وتناول الطعام والنوم.. وفي ليلة ما لقي أحد العمال حتفه دون معرفة السبب، لكن في هذه الظروف يمكنك تخمين الأسباب المحتملة بسهولة، قد يكون بسبب العمل أو الطعام، أو لصعوبة التنفس داخل هذا المكان إلا لمن اعتاد عليه، أو لأي سبب آخر ناتج مما يمرون به هنا..

حزن الجميع على موت ذلك الرجل وبدأوا في الاستعداد لملاقاة نفس مصيره عاجلاً أو آجلاً، كانت عقولهم تتجنب التفكير في مآل الأمور، كانوا يمنون النفس بمعجزة إلهية تنتشلهم من هذا الوحل، لكن القدر داهمهم وأعادهم إلى الواقع، إن كانوا يبحثون عن المصير النهائي لهذه الأحداث، فلقد رأوه الليلة وهم يودعون صاحبهم الذي حمل على أيدي سكان الوادي إلى وجهة غير معلومة كوجهة بيدرو وأصحاب الألسنة المقطوعة معه.

Telegram:@mbooks90

وبينما الحزن الإضافي يضرب القلوب الصامتة، كان رجال الوادي أكثر عملية، حيث قرروا إسكان الطبيب فويث في كوخ راسيل ومن معه لأن من مات كان رفيق فويث في كوخه ولن يقف حارس على كوخ به فرد واحد، وعلى أنه كان أكثر منطقية أن ينقل أحد سكان كوخ راسيل إلى كوخ فويث وتتساوى الأكواخ، فإن سكان الوادي كانوا يحتاجون عدداً أكبر من الحراس للحراسة عند حجرات التخزين وفي أماكن استخراج المعادن، لديهم الكثير من الأسرى الآن ولا يأمنون الغدر من جانبهم،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبذلك أخلوا بعض الأكواخ وجعلوا كل ثلاثة أفراد في كوخ واحد باستثناء كوخ راسيل الذي أصبح يضم أربعة أفراد، يا لها من مصادفة سعيدة للسكن مع الطبيب فويث رغم تحريم التحدث..

في أحد أيام العمل - بعدما مرت ثلاثة أسابيع - وأثناء فترة تناول الطعام الأولى فوجئ الجميع بزيادة غير طبيعية في حصتهم من الطعام والشراب بالإضافة إلى تقديم مشروب آخر غير المياه لا يعلمون هويته لكن مذاقه راق إلى أغلبهم، ظنوا أنها مكافأة أهل الوادي لهم لإتمام أعمالهم بالشكل المطلوب، لكنهم اكتشفوا السبب الحقيقي وراء ذلك بعدما فرغوا من تناول طعامهم، فبدلاً من أن يقودهم الرجال لأماكن العمل مرة أخرى قادوهم إلى تلك الساحة المستديرة التي وقفوا بها في يومهم الأول وبها تم اقتلاع ألسنة أصحابهم، لكن هيئة الساحة كانت مختلفة تمامًا عن المرة الأولى، الجدران كانت مزينة بالعديد من الأقمشة الملونة والطبول كانت تقرع بأساليب مختلفة عن تلك التي صمت آذانهم يوم السقوط ومشاعر الفرح والابتسامات تملأ الأوجه، بالإضافة إلى أن البعض يؤدي رقصات غريبة لكنها مرحة..

يستطيع الفرد أن يلمس أن هذه الأجواء هي أجواء احتفالية لحدث جلل في تاريخ الوادي وسكانه، البعض امتطى خياله وذهب بعيدًا جدًا وأقنع نفسه بأنها حفلة قد تقرر إقامتها على شرف الأسرى، وأن اليوم هو يوم تحريرهم وإعادتهم إلى خارج الجبل ليتدبروا طريقهم وهي مكافأتهم على هذه الفترة الوجيزة التي قضوها في باطن الجبل وأتقنوا فيها أعمالهم وكانوا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ملتزمين تمام الالتزام..

لكن الأوهام تتبدد سريعًا، تغيرت نغمات قرع الطبول إلى نغمة أخرى عذبة كسابقاتها ودخل الملك ساحته المستديرة وهو يحمل رضيعًا بين يديه ويرفعه عاليًا وسط أصوات الطبول والسكان المرتفعة على نحو تصاعدي احتفالاً بهذا المولود كلما رفعه الملك وأخفضه وأعاد الكرة مرة أخرى، إذن هذه الاحتفالات على شرف هذا المولود الجديد لملك الوادي المحبوب، لا إشادة بالعمل ولا حفلات توديع، لكن رغم ذلك ابتهج الأسرى بهذه الأجواء التي أضافت شيئًا من التجديد والمرح على إقامتهم الجبرية الحزينة في هذا الجبل، انتهت الاحتفالات مع حلول الليل وعاد الجميع إلى أكواخهم حيث اكتفوا بهذا القدر من العمل لذلك اليوم تكريمًا لهذا المولود..

في الأيام السابقة كانوا يعودون إلى الأكواخ بعدما قضى العمل على قوتهم البدنية وعلى تساؤلاتهم الوجودية وأجبرهم على النوم، أما الآن فقد أكلوا كمية أكبر وعملوا فترة أقل ولديهم وقتًا أطول في الأكواخ، في الكوخ كان كل يحفظ مكانه، الطبيب فويث ينام بجوار باب الكوخ، باتريك إلى جواره، راسيل بعد باتريك والعامل في آخر الكوخ، وهناك شعلة من النار تتوسط الكوخ وتضيئه وتفصل بين راسيل والكابتن باتريك، بعدما عادوا إلى هناك أسند الكابتن باتريك رأسه على ركبتيه وأخذ يفكر في أهله الذين لا يعلمون مصيره ولا يعلم أحوالهم، كذلك كان يفعل الطبيب فويث لكن وهو ينظر من باب الكوخ إلى خارجه حيث يقف الحارس، أما راسيل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والعامل رفيقه كانا أقرب لشعلة النار التي تتوسط الكوخ وينظر كلاهما إلى الآخر دون حديث طبعًا..

أخذ راسيل يعبث بيديه في حوائط الكوخ المصنوعة من مواد خشبية لا يعلم من أين حصل عليها سكان الجبل - ككل شيء داخل مسكنهم فيما عدا المراتب أسفل التجويف - جرح راسيل إصبعه بقطعة خشبية وهو يحاول التقاطها لتتساقط بعض قطرات الدم من إصبعه على الأرض، أخذ راسيل يعبث بهذه القطرات محاولاً تشكيل حروف اسمه، وفي هذه الأحيان تبادرت إلى ذهنه فكره لا يعلم كيف لم يفكر بها طيلة هذه المدة!!

وبسرعة التقط القطعة الخشبية التي جرحته ونحت بها برفق على الأرض كاتبًا: ما اسمك؟

نظر العامل - الذي كان يتابع ما يفعله راسيل - للمكتوب ثم ابتسم، يبدو أن الفكرة راقت إليه..

التقط قطعة أخرى وكتب بها: اسمي أليكساندر، وأنت راسيل أنا أعرفك..

مرة أخرى كتب راسيل بقطعته: أهلاً أليكس، كيف تعرفني؟

أجابه أليكساندر وتوالت أسئلة راسيل الذي كان يسأل صديقه الجديد عن عمره وشعوره في هذا المكان والكثير من الأسئلة التي أجابها أليكساندر وقام بدوره بطرح بعضها على راسيل..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

استمر الأمر هكذا لتعطشهم إلى التسامر إلى أن أطلق راسيل سؤالاً كاد أن يودي بحياتهما وحياة الكابتن والطبيب أيضًا حيث كتب: كيف وصلت إلى العمل مع أبي وعمي بيدرو؟

فمسح أليكس سؤال صديقه بأصابعه ليجيب مكانه: لقد اختطفوني منذ عام، لقد أجبرت على ذلك..

وفور أن قرأ راسيل الإجابة نسي عقله وتحدث للمرة الأولى منذ أسابيع بصوت مرتفع قائلاً: ماذا تقول؟؟

ثوان معدودات بعدما صاح بسؤاله - الذي جذب انتباه باتريك وفويث وجعل أليكساندر يكمم فاهه بيده - عاد إليه عقله وعلم بأنه ارتكب حماقة سيقلع على أثرها لسانه، ولربما قلع الحارس القابع خارج الكوخ ألسنة جميع من بداخله لأنه لا يعلم من أيهم صدر الصوت الذي سمعه بكل تأكيد..

لثوان معدودات أخرى تشبث من بالكوخ بأمل أن الحارس لم يسمع ما قيل لكن حبال آمالهم قطعت في اللحظة التي دخل فيها الحارس الكوخ..

الجميع يودع قدرته على الحديث بداخله ويتصور كم الألم المروع الذي سيشعر به وهو يُسحب من لسانه حتى يتخلى عنه رغم إرادته، تقدم الحارس في خطوات بطيئة وتجاوز الطبيب وباتريك حتى وصل إلى شعلة النار..

ظن راسيل أن الحارس استطاع تمييز كونه مصدر الصوت لكن لا يعلم كيف هذا، أليكس لا يزال يضع يديه فوق عينيه كي لا يرى ماذا يحدث حيث أن قلبه على بعد دقائق ليخرج خارج قفصه الصدري من شدة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الدق..

الحارس خلع خوذته ليظهر شعره الأصفر الكثيف مسترسلاً خلف أذنيه وعلى رقبته ووجهه المريح الذي يختلف عن ملامح سكان هذا المكان كليًا، ووضع مطرقته إلى جانبه ثم جلس إلى جوار النار..

استراح الرباعي نسبيًا لذلك عدا أليكس الذي لم يشاهد ما حدث أصلاً، حيث ظل يغمي ناظريه إلى أن تحدث الحارس قائلاً: لا تخافوا..

نظر الشابان إلى بعضهما البعض وعاودا النظر إلى الحارس دون القدرة على التحدث مطلقًا، الطبيب فويث أصدر زفيره الذي كان يكتمه والكابتن باتريك ظل يراقب..

فاستطرد الحارس قائلاً: لقد عشت ما تعيشونه جميعًا منذ ما يقرب الثلاثة أعوام، يزيد عن ذلك قليلاً أو يقل، مع الوقت تفقد شعورك بالزمن في هذا المكان وبهذا النمط المعيشي..

استطاع راسيل الحديث أخيرًا بصوت خافت سائلاً: كيف ذلك؟

أجاب الحارس - وكأنه كان ينتظر هذا السؤال حتى يتحدث ويبرهن لنفسه أنه لم ينسَ الكلام طيلة مدة المكوث في هذا الجبل - وقال: أثناء عودتي من رحلة ترفيهية زرنا بها الغابات خلف هذا الجبل وبعض الشواطئ القريبة من هنا، قرر جماعة منا تسلق بعض الجبال كنوع من الترفيه، أردنا أن نخيم فوق شق ما من الجبل الذي يسبق هذا في تلك السلسلة، لكن داهمنا هؤلاء الرجال وأسرونا، كنا خمسة رجال وفتاتين، سقط رجلان من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أعلى الجبل أثناء محاولتنا للهرب وقُبض على البقية، وحدث معنا ما حدث معكم بالتفصيل، قطعت ألسنة الجميع سواي أنا وأختي حيث كممت فمها حينما همت بالتحدث كالبقية..

راسيل: كما فعل معي الكابتن، هل لا تزال أختك هنا؟

الحارس: أولاً، أخفض صوتك قليلاً؛ الأكواخ متقاربة والحراس منتشرون، ثانيًا، نعم، لا تزال هنا، موكلة بأعمال النساء، إعداد الطعام وتنظيف أماكن الإقامة ونقل الأشياء وخلافه.

أليكساندر: هل تراها؟

الحارس: مرة كل خمسة أيام..

سأله الكابتن باتريك بصوت منخفض متقطع كأنه يخشى إجابة سؤاله: إذن ما هو مصيرنا؟

الحارس: ماذا تظن بعدما أخبرتك أني هنا منذ ثلاثة أعوام تقريبًا؟ ستظل مثلي، تعمل لصالحهم ولن يصيبك منهم مكروه طالما التزمت بالعمل وبقواعدهم، إلى أن تصبح مثل رفيقك الذي فقد روحه..

لم يُحبط الرجال كثيرًا لأنهم كانوا يعلمون ذلك تمام العلم، فقط أراد الكابتن باتريك تأكيدًا لأفكاره..

راسيل - والذي كانت أسئلته تتسابق داخل رأسه - سأل قائلاً: مَن هؤلاء الناس إذن؟ وكيف يعيشون هكذا في هذا الزمان؟؟ لولا ما قلته لكان

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جزء في عقلي لا يزال محتفظًا بفكرته أنني أحلم..

الحارس وهو يبتسم ابتسامة خفيفة: تذكرني بنفسي وبكل أسئلتي، كما ذكرت لك أسروني في جبل آخر غير هذا، ثم انتقلوا إلى هذا حينما وجدوا فيه الذهب والكثير من المعادن، وينابيع مياه داخليه تبقيهم على قيد الحياة، لا يعلم مكانها أحد من الأسرى، للعلم الكثير من الحراس هنا هم أسرى جاؤوا بعدي وقبلي، ما فهمته هو أن هؤلاء الناس لا يسكنون إلا الجبال من مئات السنين تقريبًا، يتنقلون فيما بين جبال هذه السلسلة الضخمة، وما إن أنهوا المرور بجميع جبال السلسلة يعودون من حيث بدأوا ويكررون نفس التنقل..

أليكس: ما سر ذلك؟

الحارس: هم لا يخرجون خارج هذه السلسلة إلا لأغراض محددة، لكن لا يعيشون سوى داخلها، ويؤمنون بأن ينابيع المياه التي تجف من جبل ما تعود لتظهر بعد مدة من الزمن فيه، خلال هذه المدة يكونون قد انتقلوا لجبل آخر في السلسة مليء بالينابيع، وعندما تجف ينتقلون إلى آخر، وبإكمال السلسلة يعودون إلى الجبل الأول الذي تظهر ينابيعه مرة أخرى بعدما جفت سابقًا. صادفهم حدوث ما يظنونه كثيرًا حتى تأكدوا منه وصارت هذه القواعد عندهم، من حسن حظكم أن فترة إقامتكم لا تصادف أعمال حفر داخل جبل جديد وإلا هلك أغلبكم..

تنحنح الحارس قليلاً ثم أكمل: هم لم يكونوا بهذه الوحشية من قبل، يقال

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أن بداية حكايتهم كانت عندما تحطمت إحدى الطائرات فوق الجبال منذ الكثير والكثير من الأعوام، عثروا على ركابها وأطعموهم وأعطوهم الماء وبعضًا من الذهب، وتركوهم يتدبرون أمورهم خارج الجبال، الكثير منهم هلك والناجون القليلون جدًا منهم من لم يكونوا يعلمون أين تحطمت طائرتهم فاكتفوا بقص ما حدث لهم مع هؤلاء السكان لذويهم، ومنهم من احترم كونه قد نجا بمساعدة الذهب الذي استخدمه كنقود تساعده على العودة، من بين هؤلاء كان هناك تاجرًا، نجا واستطاع تدبر أمره والعودة إلى دولته، أبقى سر هذه الجبال بينه وبين أخيه أو أحد شركائه أو أصدقائه لا أحد يعلم، لكنه لم يخبر سوى شخص واحد عن هذا المكان، وبعد مدة ليست بالكبيرة، هجم عليهم الكثير من الرجال الذين يعملون تحت إمرة هذا التاجر وصديقه، قتلوا بعضًا من سكان الجبل وسرقوا الكثير من الذهب الذي جاؤوا من أجله ورجعوا إلى ديارهم، تنبأ سكان الجبل بتكرار الهجمات وبقوا متيقظين للهجمة القادمة، وهو ما حدث من نفس التاجر ونفس رجاله، هم يحفظون الأوجه التي غزتهم سابقًا كما يألفون وجه التاجر الذي أطعموه وساعدوه على النجاة من الموت، وبالطبع كان هذا التاجر يقودهم للمكان الذي حفظه عن ظهر قلب للعودة إليه وأخذ الذهب، لكن في هذه المرة قضوا على جميع الرجال عن بكرة أبيهم، أسقطوا أغلبهم من فوق الجبال وذبحوا بعضهم وأسروا رجلاً واحدًا منهم كان قد استسلم تمامًا في وسط المواجهة الضارية فلم يصيبوه بضرر، هذا الرجل كان عندما يتحدث يجن جنونهم وينهالون عليه بالضرب، فطن سريعًا كرههم للحديث ثم ساعدهم في وضع لغة الرموز التي ترونها، بدأ في رسم الرموز وتمثيل دلالتها بالضبط كما

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أخبروكم كيفية القيام بأعمالكم، راقت إليهم الفكرة واعتمدوها ومع مرور السنين تطورت لغتهم الرمزية واستمروا في إضافة الرموز عامًا بعد عام، وضعوا قوانين لهم أولها أن من يسقط على الجبال يتم أسره ولا يسمح له بالخروج أبدًا، حتى لا تتكرر مأساة الهجوم من التاجر الذي - من حسن حظهم - أخبر عددًا محدودًا من الرجال عن سرهم، وهؤلاء الرجال تم القضاء عليهم جميعًا..

وما سر كرههم للحديث وتفضيلهم للرموز؟ هكذا سَأل فويث..

الحارس: هم يؤمنون بأن التحدث هو أسلوب سريع للتواصل، وكان هو نقطة قوة أخصامهم في هجمات سرقة الذهب، لذلك فهو محرم هنا تمامًا، وأول من يتحدث من الأسرى يقومون بقطع لسانه على الفور، أما الرموز فهي وسيلة لتسهيل تواصلهم مع بعضهم البعض ودون أن تكون وسيلة سريعة جدًا يستخدمها الإنسان لإلحاق الأذى بغيره كما فعل معهم التاجر وأصحابه، تلك هي قصتهم الأسطورية، الأكيد من هذه القصة هو الأحداث الأولى من مساعدتهم للضالين ثم الهجوم عليهم وكل هذا، أما المشكوك فيه هو اعتبار أن هناك ناجون لا يعرفون مكان الجبال وناجون لم يخبروا العالم عن سرهم احترامًا للمساعدة التي قدموها لهم، هذه الجزئية جاؤوا بها من خيالهم وسَطّروها بالرموز وسط قصتهم التي تزين جدران غرفة ملكهم، حتى الرجل الذي هجم عليهم هم تخيلوا أنه أخبر صديقًا واحدًا فقط، حيث أنهم بمجرد القضاء على صحبتهما لم تتكرر الهجمات مرة أخرى، فلو كان أخبر الكثير لهجم عليهم الكثير..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الطبيب: ولماذا لم يكتفوا بإخضاع الأسرى لعدم التحدث دون قطع ألسنتهم؟

الحارس: إن طلبوا منك ذلك ستذهل وستغضب وترفض، وإن نجحوا بطريقة أو بأخرى بإخبارك قصتهم وقواعدهم ستماطل قليلًا، وإما تستجيب وإما لا، لم كل ذلك بينما يستطيعون إجبارك على عدم التحدث دون أن تسأل لماذا حتى، وذلك بمشاهدة صديقك ولسانه يخرج من حلقه بسحبة واحدة..

راسيل: عذرًا على العودة إلى الخلف، لكن ألم يبحث عنك أصدقاؤك حينما عثروا عليكم؟

الحارس: رحلة ترفيهية في غابة وتسلق جبال بها نسبة من الخطر، لابد أنهم افترضوا ضياعنا أو موتنا، ولن يبحثوا عنا في كل تلك المسافات، وفي الواقع تسلقنا الجبال دون أن نخبر أحدًا على أن ننهي المرح ونعود إلى نقطة التجمع لاحقًا..

راسيل: إذن وكيف عرفت كل ما قلته؟

الحارس: عندما أسروني كنت موكل بعمل ما إلى جوار رجل أصابته الشيخوخة يدعى العم تشارلي، أخبرني بكل هذا وأخبرني أن أحد الأسرى أخبره ذلك وهو صغير عندما أسروه، وبالتأكيد الرجل الذي أخبر العم تشارلي عرف القصة من أسير قبله وهكذا بالتتابع حتى تعود إلى أول أسير الذي ساعدهم في وضع لغة الرموز كما دونوا..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

راسيل: كيف تعلمت لغتهم؟

الحارس: مثلكم، أنتم الآن على دراية بكمٍّ لا بأس به من دلالات الرموز، مع توالي الأحداث والتعرض للرموز ستعرفون أكثر..

باتريك: اعذرني لكن ما زلت أشعر بأنني سخيف! أنت ذكرت أن بداية الدموية كانت مع الهجمات وهكذا، وبداية الأسر كانت لطائرة تحطمت، كيف لقوم ألا يعرفوا اللغات الناطقة في وقت تواجد الطائرات في العالم؟

فويث هو من أجاب على هذا السؤال قائلاً: العالم لا يسير بخطوة واحدة، أدرك أن الفجوة بين سير التطور في العالم لا تكون بهذا الاتساع، لكن في هذه الدنيا أنت لا تعرف كل شيء، يفاجئنا العلماء بكواكب جديدة واكتشافات أخرى كل يوم، على مر التاريخ اكتشفوا قارات ودول وجزر لم يعلموا عنها شيئًا قبل ذلك، نحن على دراية بقدر ضئيل من علم خالق هذا الكون ومسيره وما يوجد به، العلماء ينهالون في طرح أفكارهم بوجود كائنات فاضية وعوالم أخرى بمجرات أخرى وهكذا، وإليك مثلاً وجود الهنود الحمر بقارة ما على الأرض يعيشون بجسد شبه عارٍ ويستخدمون الأسلحة البدائية، إلى أن اكتشف أمرهم سكان أوروبا فوصلوا إليهم بالسفن وقضوا عليهم بالبارود والحرب البيوكيمائية ونشأت الولايات المتحدة على أرضهم، وهؤلاء المساكين لم تكن لديهم أي معرفة بالسفن أو البارود أو هذه الأساليب العلمية المتطورة بالنسبة لهم، فلتفترض تشابه الأمر.

Telegram:@mbooks90

اتفق الحارس مع كلام الطبيب وأكمل: وحينما كان من المفترض أن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يكون هذا التاجر هو سبب انتشال هؤلاء السكان من التخلف والعيش البدائي، كان هو سبب الإغارة عليهم فكرهوا التقدم في صورة اللغات وأصبحوا يرون أن خارج هذا الجبل هو عالم آخر غير عالمهم لا يصيبهم الشغف حتى ليعلموا ما يحدث فيه، هم مؤمنون بأن خارج هذه الجبال يقطن أبالسة البشر، شياطين الإنس الذين لا يملكون الأخلاق والضمائر والقيم، سحقًا لمن ساعدهم في النجاة طالما يمتلك الذهب والفائدة! هم حتى لم يعرفوا أن قيمة الذهب كبيرة إلى هذا الحد إلا بعد أن هاجموهم وقتلوهم بسببه، كانوا يعطونه قيمة لبهاء صورته لكن ما حدث جعل قيمته أكبر فتراه في غرف يحرسها الكثيرون، لذلك تشبثوا بالجبال ورفضوا الخروج منها وأسروا كل من تحطمت طائرته بدلاً من مساندته للعودة لدياره، وذلك حتى لا يخبر العالم القبيح عن أماكنهم، وفي نفس الوقت اعتبروا المتحدثين فقط أعداءهم أما البقية يعملون لديهم ويؤجرون على ذلك بالطعام والأمان..

راسيل وقد أصابه الذهول: يبدو أن بعض روايات الفانتازيا والأفلام الخيالية قد تكون واقعًا حيًا ملموسًا..

الحارس: هذا صحيح، على كل لقد أطلنا الحديث، نالوا قسطًا من راحتكم ولا تقلقوا أنا معكم هنا فيما تحتاجون، ولا تخافوا منهم هم أهل قيم وكرم فيما لا يتعلق بتهديد حياتهم..

باتريك بسخرية: لمسنا كرمهم في زيادة اللحوم النيئة ابتهاجًا بقدوم ولي العهد..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبينما الحارس يلبس خوذته ويهم بالمغادرة ضحك وقال: ألم أخبرك أنكم قادمون من العالم القبيح، مولود الملك ليس وليًا للعهد، هو فرد كباقي الأفراد، وعندما يموت الملك يختارون ملكًا جديدًا فيما بينهم، أشبه بالانتخابات في عالمنا، لكنها هنا لا تحكمها الأهواء أو تتحكم فيها المصالح أو يشوبها الغش، عادلة ولأجل الصالح العام.

أعجب راسيل بذلك وقال: يا له من عالم قيم في مكان قبيح!

فويث للحارس: عذرًا أريد من وقتك دقائق إضافية..

وقف الحارس لسماعه فباشر فويث: لم لم تحاول الهرب؟

الحارس: لديهم أختي ألا تتذكر، ثم إن شق الجبل الذي سقطوا منه لا يمكن الوصول إليه، تم تكسير الجدران وحفرها بطريقة تجعل فرقة واحدة من الجنود تستطيع الخروج منه، وإن حدثت معجزة وتملصت منهم واستطعت الخروج على حين غرة سيتبعونني حتى يتمكنوا مني ويقتلوني..

أليكس: وإن حدثت معجزة أخرى ولم يتمكنوا منك بعد خروجك؟

الحارس: تقتل فرقة الجنود الموكلة بالخروج من الجبل وتتبع الهارب وفرقة الجنود الموكلة بتكسير الجدران، هذه هي القواعد، ألم يلاحظ أيًا منكم رموزًا على أساور الجنود؟

راسيل: نعم لاحظت، أسود ودببة وقرود.

أليكس: حجلان.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فويث: لاحظت نسورًا.

باتريك: أنا الوغد الذي لم يلاحظ أي شيء..

الحارس: الأسود هم فرقة الجنود الأقدم وهم القادة الذين يصدرون الأوامر نيابة عن الملك، الدببة هم جنود الحماية والمواجهات، القردة هم الفرقة الخاصة بتكسير الجدران وتمهيد التسلق وهم أول من يقتل في حالة هروب أحد الأسرى، النسور هم فرقة النزول من على الجبال لصيد الحيوانات من الغابات والعودة سريعًا أو لتتبع الهاربين وهم ثاني من يقتل، أما الحجلان فهم فرق المراقبة للجبال إن حدث حادث كتحطم مروحيتكم يخبرون القردة والنسور للتسلق..

باتريك: يا للدقة! الأسود في القيادة لأن الأسد ملك الحيوانات، الدببة في الحماية للقوة، القردة في التسلق لأعلى للمرونة، النسور في التسلق لأسفل وكأنهم قادرون على الطيران، أما الحجلان للمراقبة ولا أعرف ما هي الحجلان أصلاً!

فويث وهو يضحك: طيور معروفة بالحذر، الاختيارات دقيقة فعلاً.

الحارس وهو يبتسم ويغادر: لابد أن أغلبها كان بالصدفة.

فويث: قبل أن تغادر، ما اسمك يا رفيق؟

الحارس: اسمي نيكولاس، أو نيكولا للتسهيل، ثم خرج.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(6)

في اليوم التالي كان ذهن راسيل لا يزال مشغولاً بما قصّه عليهم الحارس ليلة أمس، وكلما مر الوقت كلما ازدادت استفهامات راسيل التي تدور في خلده، حتى أنه ودّ لو يمتلك مفكرته ليدون بها الأسئلة التي يبحث لها عن تفسير، ظل يفكر في هؤلاء القوم، وكيف أن الإنسان عندما يعيش بفطرته التي خلق بها يكون مخلوقًا ساميًا كما أراده خالقه أن يكون، يكون مناسبًا لما وكل به وهو تعمير الأرض، هكذا بدأ هؤلاء الجبليون حياتهم، كانوا على فطرتهم وتعاملوا بالسجية التي خلقوا بها، ساعدوا الضال وأعطوه مما يمتلكون دون ضجر أو دون أن يطلب أحد منهم ذلك، بل عن طيب خاطر، أما عندما يدنس الإنسان فطرته ويذهب وراء أهوائه غير عابئ بما يمليه عليه ضميره، فإنه قطعًا يتخلى عن إنسانيته، كالتاجر الذي همّ بقتل الناس الذين أنقذوه من موت محقق غير بعيد، فقط لأنهم يمتلكون الذهب، هذا الذهب الذي عرفوا قيمته الحقيقية بعدما عاشوا قصة التاجر، بالطبع لا دراية لهم بالصناعات والعملات والنقود وديون الدول وإفلاسها، وكل هذا لتتكون لديهم خلفية حول أهمية الذهب، لكنهم علموا تلك القيمة حين رأوا أن هناك فصيلاً من البشر مستعد تمام الاستعداد لأن يجهز على حياة مئات الأبرياء ليحصل على شيء يمتلكونه، شيء خصتهم به الطبيعة الجغرافية للمكان الذي يعيشون به، لم يسعوا وراءه حتى، فما بالك إن كان هؤلاء الأبرياء هم السبب في استمرار حياتك لتلك اللحظة التي هاجمتهم بها دون رحمة ولا هوادة، ولعله من المؤسف أن هذا الفصيل هو نوع البشر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الذي يتحكم في العالم حاليًا، وبما أن المؤسسات التي تدير الدول والأحزاب والشركات وخلافه هي كيانات تتشكل من أفراد، فإنها تسير وفق خططهم التي توضع حسب رغباتهم وميولهم، وبذلك تكتسب سماتهم، فيمتد هذا الفصيل البشري لما هو أخطر، للكيانات التي تحكم العالم وتسيره..

هنا تصبح المصالح هي مرجعية المبادئ والأخلاق، يصبح الصواب هو ما سيدر بالمنفعة والخطأ ما سيؤدي إلى عكس ذلك، لا عودة للأديان ولا الفطر ولا السجايا ولا الأعراف، لا تحكمنا الإنسانية ولا يردعنا العدل، ليس المخطئ من يعاقب بل المعادي لاستراتيجياتنا وخططنا المعلنة أو الباطنة، أو أن المخطئ يعاقب باختلاف تعريف المخطئ، كلا الأمرين سيان..

لعل هؤلاء المتخلفون حضاريًا هم أكثر رجال الأرض تقدمًا لأنهم أكثرهم إنسانية وأنقاهم نوايا، لا نزاعات سوى للدفاع عن النفس، لا دول مغتصِبة ليس لها رادع لقوتها وقوة حلفائها ولا مغتَصَبة تسلب حقوقها لضعفها وانبطاح حلفائها، لا أقوام تباد من على وجه الأرض لمصلحة كيانات أقوى، ولا خلل في معايير الصواب والخطأ، ألف اختلاف واختلاف..

ربما راسيل لم يكن ليمل في ذكر كل الاختلافات الكائنة بين العالمين لكنه استفاق على وخزة في كتفه الأيمن بعصا أحد رجال الجبل - الوادي - ينهره فيها على جلوسه مدة طويلة، قام راسيل واستكمل عمله بملء المياه في الأوعية من الخزانات الضخمة وإيصالها إلى أماكن إعداد الطعام رفقة أليكس وداني، كانوا يستطيعون اختلاس الحديث أحيانًا في الطريق غير

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المراقب بين الخزانات وغرف الإعداد، وفي طريق العودة من الغرف لنقل كمية أخرى من المياه همس راسيل لداني قائلاً: لا تقلب نظرك في النساء كثيراً فإن لوحظت قد يقتلعوا عينيك نظير ذلك..

توتر داني قليلاً لما لاحظه عليه راسيل لكنه لم يستطع التحدث لاقترابهم من الخزانات والحراس، بعدما ملؤوا الأوعية وعادوا أدراجهم مرة أخرى تحدث داني بصوت يوحي بالقلق: لا أقلب النظر فيهن، انظر إلى واحدة فقط..

تباطأ الشابان قليلاً في حركتهما وأكملا حديثهما في طرق الذهاب والإياب بين الخزانات وغرف الإعداد كالتالي..

راسيل: مستحيل، هل وقعت في حب إحداهن؟

داني: نعم راسيل، نعم، لقد حدث ذلك.

راسيل كاتمًا ضحكته: يا له من مكان شاعري مناسب للقصص العاطفية!

داني: لا تهزأ بي!

راسيل: أنصت إليّ يا.. ما اسمك أولاً؟

فأجابه داني ليواصل راسيل: أنصت إليّ يا داني، نحن لا نعلم قوانينهم حول ذلك هنا، لا ترمي بيدك إلى التهلكة، أو بالأحرى لا تحمل نفسك عبئًا إضافيًا فوق ما نحن فيه، لابد أن التودد لإحدى نسائهم جزاؤه عسير هنا، إن تحدثت يقتلعون لسانك، فإن ظنوا أن شهوتك تجري على إحداهن، أي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جزء من جسدك تظنه سيقتلع؟؟

ثم ضحك راسيل رغمًا عنه بعدما قال ذلك رغم اقترابهم من غرف الإعداد حيث يوجد حراس بالتأكيد، لكنه بحنكة تصنَّع السعال المستمر حتى إن كان أحد الحراس قد سمع ضحكته فسيظنها حشرجة بالحلق كالتي تحدث ما قبل السعال أو بآخره..

عندما وصلا إلى غرف الإعداد حاول راسيل أن يراقب أعين داني ليعلم أي الفتيات تثير لعابه للدرجة التي تجعله لا يخاف من عواقب التطلع إليها في هذا المكان الغريب، وبالفعل تمكن راسيل من التعرف عليها لكن ما أذهله حقًا هو أنها كانت تبادل داني نفس النظرات بل أكثر وبكثير من المشاعر التي تكاد تخرج من عينيها أو من تخبطها حينما ترى داني..

بعناء شديد حافظ راسيل على فمه مغلقًا دون أن يطلق ضحكات تهز باطن الجبل من كم السخرية الكائن في هذه العلاقة المرتقبة، لكنه لم يستطع إخفاء ملامحه عن داني الذي همس له في طريق العودة: لا تهزأ بي راسيل، لا أفعل شيئًا يثير الاستهزاء، قد أكون أحمقًا لكن ذلك ليس بيدي، أسمع عن إحساس الحب كثيرًا ولم أشعر به حتى مع عائلتي، والآن أظنني وجدته، لذا اتركني أتطلع حتى بخيالي، وإن ارتقت تطلعاتي لأفعال لا أعلم ما هي على أرض الواقع، فأيًا كانت عواقب ذلك لن تكون أشد من الموت، والموت هو مصيرنا هنا على أي حال، فلا داعي لكل ذلك..

تعاطف راسيل مع داني وشعر بالخجل من نفسه فحاول إصلاح ما أفسده

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قائلاً: لا تقلق يا صديقي سأستفهم لك عن قواعدهم بشأن زواج الأغراب عنهم..

داني: ستستفهم من من؟

راسيل: حسنًا هذه قصة طويلة، لكن كل ما عليك معرفته أن حارس كوخنا كان أسيرًا يومًا وهو يتحدث معنا بشكل ودي..

نظر له داني بحماسة وهمّ لشكره لكن الحراس كانوا قد جاؤوا لقيادتهم إلى أماكن الطعام، هذا وقت الراحة..

رغم ذلك بدت ملامح داني المبتهجة دليلاً واضحًا على أن راسيل قد استطاع بالفعل ترميم ما قد اقترب كسره داخل قلب داني..

الفتية في هذه السن مفعمون بالمشاعر حقًا.

***

بنهاية يوم العمل عاد الجميع إلى أكواخهم، كانت تلك أسعد لحظات راسيل الذي يحترق شوقًا للجلوس مع الحارس مرة أخرى وإطلاق كل ما بجعبته من أسئلة..

وبالفعل بعدما دخلوا إلى كوخهم بنصف ساعة تقريبًا دخل إليهم نيكولاس وأشار لهم بالتزحزح في جلستهم قليلاً بحيث يصبحون أقرب إلى آخر الكوخ جميعًا عن أوله، وبما أن أليكس كان ملتصقًا بآخر الكوخ فمن تحرك مكانه كان الثلاثي المتبقي الذين اقتربوا من بعضهم البعض ومن مكان

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أليكس..

ثم جلس نيكولاس أمامهم وسألهم عن أحوالهم فتناوبوا في الإجابة عليه وراسيل ينتظر فرصة طرح أسئلته ليقتنصها..

لم يخيب نيكولا أمله وقال له مبتسمًا: أرى في عينيك رغبة للحديث..

قال راسيل بحماس: هذا حقيقي.

الحارس: إذن قل ما عندك، لماذا تصمت؟!

وقبل أن يجيبه راسيل تدخل باتريك بصوت أصابه الملل قائلاً: أعتقد أنه نجول بعض الشيء، لم لا تأتي إلينا بأنثى عارية من بنات هذا الجبل لنزيل عنه نجله؟

ضحك الجميع وقال فويث: احذر يا كابتن فالحارس عاش معهم كثيرًا ولابد أن جزءًا منه أصبح ينتمي إلى هنا.

باتريك: اعذرني يا نيكولا فالحياة تصبح عسيرة على أمثالي إن كانت تخلو من ممارسة بعض..

ثم صمت برهة واستأنف: أو من الأفضل ألا أواصل حتى لا يخجل حملنا الوديع..

لم يلق راسيل بالاً لما قيل ولم يفكر إن كان مزاحًا أو هجاءًا ثم سأل نيكولا عن سبب اختياره هو وداني وأليكس لهذا النوع من العمل..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحارس: لابد أنكم الأصغر سنًا، فبالتالي هذا العمل مناسب لقوتكم ومناسب لحرصهم على نسائهم..

وصل راسيل للنقطة التي أراد الوصول لها، لم يكن يريد أن يطرح سؤاله مباشرًا فيشك الحارس أنه أحب إحدى الفتيات، من جانب لأنه كان حذرًا بعض الشيء فلم يعطِ للحارس الأمان كاملاً، ومن جانب آخر فكل من بالكوخ سيظنون أنه أحب فتاة ولن يصدقوه حينما يحاول نقل الاتهام لداني كما يفعل الأطفال دائمًا بإلقاء الاتهام على أي شخص آخر لنفيه عن أنفسهم، أما بهذه الطريقة فاستخلص إجابة من الحارس تمكنه من طرح سؤاله الأساسي بطريقة لا تثير الشكوك..

قال راسيل: إذن هم لا يبيحون زواج نساء الجبل من الأسرى؟

الحارس فكر قليلاً ثم قال: لم ترد مصادفة مثل هذه قبل ذلك لأعلم قانونهم بخصوصها، لكن أول أسير بهذا الجبل وهو الذي ذكرت لكم مساعدته لهم في وضع لغة الرموز هذه تزوج إحداهن وأنجب منها، يقال أن الملك الحالي من سلالته، لكن هذا ليس دليلاً على مباركتهم للأمر، فنظرًا لمكانة هذا الرجل كونه أول أسير وواضع لغة تواصلهم وساعدهم في الكثير من الأشياء ونقل لهم خبرات عديدة، لن تكون كفة أي أسير آخر مساوية لكفته، لذلك لا أستطيع أن أعطيك جوابًا محددًا، لكن كل ما أعلمه أنهم شديدو الحرص على نسائهم، أما إن كانت من الأسيرات يختلف الوضع قليلاً، إن كان لها قريب من الأسرى مثل حالتي بوجودي أنا وأختي سويًا سيأخذون رأيه، هذا عن تجربة حينما أراد أحد سكان الجبل الزواج بها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فأبلغوني ذلك برموزهم وجعلوني خلوت بأختي لأعرف رأيها ولم توافق، لذا فرفضت، لكن يؤسفني القول أن هذه الحالة هي الأخرى مختلفة عما تقوله، لأن من أراد الزواج بها كان أحد سكان الجبل ليس أسيرًا، لذلك لا يمكنني إفادتك في الموضوع على أي حال..

أليكس تدخل في الحديث قائلاً: مهلاً، جعلوك تأخذ رأي أختك على انفراد؟ إذن هم يعلمون أنك أنت وأختك تستطيعان الحديث بلغات ناطقة؟ لذا لماذا انتزعوا ألسنة أصدقائنا ولم يكتفوا بمعاقبتهم وإعلامهم قواعدهم ليسيروا وفقها؟

الحارس: مهلاً مهلاً، لم أذكر أني تحدثت مع أختي بلغتنا، أخذت رأيها بالرموز، أختي مثلي تعلمت الكثير من الرموز، النساء هنا لطيفات مع بعضهن البعض وعلموها الكثير من لغتهم على مر تلك السنين، بالإضافة إلى أن كل الأسيرات فيما عدا أختي كن هنا قبل أن يتم القبض علينا، وهن الأخريات ساعدن أختي في تعلم اللغة لعطفهن عليها ومشاركة إحساس الأسر بينهن.

أليكس: إذن لماذا خلوت بها طالما كان التواصل بالرموز؟

الحارس: يعتقدون أن ذلك يقلل من خوفها..

فويث بصوت ممدود يطيل نطق الحروف: يا للرقي!!

باتريك: بالفعل، يا لرقي مملكة الجبل العالمية، ينقصهم فقط إدخال الإنترنت المركزي وارتداء الملابس الداخلية..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ضحكوا على كلمات باتريك الذي لا يتوقف عن الاستهزاء بكل كبيرة وصغيرة من الحديث ليقطع راسيل الضحك سائلاً: وما طقوس الزواج هنا؟

الحارس: شعائر الزواج هنا موحدة، إن أراد أحد الرجال التزوج من إحداهن يتقدم إلى أقاربها بلوح مكتوب عليه ثلاثة رموز معروف أنها تشير إلى طلب الزواج هنا، فيأخذ منه ولي أمر الفتاة هذا اللوح ويأتي بفتاته ويريها المتقدم للزواج منها، ثم يعود بها إلى مكان نومها ليكونا على انفراد تمام لتقليل الضغط على النساء اللائي يخجلن بسهولة بطبيعتهن..

وقبل أن يواصل الحارس الحديث قهقه الكابتن باتريك وقاطعه قائلاً: النساء يخجلن؟ لابد أنك هنا منذ زمن طويل فعلاً..

ابتسم الحارس الذي يبدو هادئ الطباع جدًا وأكمل: ثم يعطي لفتاته اللوح، فإن وافقت تعطِ اللوح لولي أمرها - سواء كان والدها أو أخوها أو عمها أو غير ذلك - دون أن تغير به شيئًا، وإن لم توافق فإنها تقوم بمحو الثلاثة رموز وتسليم اللوح، ويحق للفتاة الاحتفاظ باللوح للتفكير لمدة ثلاثة أيام، هم يقدسون الزواج هنا كثيرًا لأنهم يرونه السبيل للحفاظ على بقائهم وبقاء نسلهم على قيد الحياة، منذ بداية قصتهم أصبحوا يرون أن التاجر ومن هم على شاكلته يشكلون عالمًا آخر مختلفًا عن عالمهم، هذا العالم يتحداهم كي يتخلوا عن عالمهم وينضموا لهم لمشاركتهم السوء الذي يحكمهم ويسيرهم، لذلك هم يقدسون الإنجاب جدًا، وقد يكون ذلك مطمئنًا لسؤالك الأول..

باتريك تدخل في الحديث مرة أخرى قائلاً: حقًا؟ من ذا الغبي الذي لا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يقدس ممارسة الجنس سوى المخصي أو صاحب النفس القصير؟!

الحارس: قلت يقدسون الإنجاب!

باتريك: نعم نعم، الإنجاب الذي يحدث نتيجة الجنس.

فويث تدخل سريعًا موجهًا حديثه لباتريك: لقد أثقلت في تعليقاتك.

ثم صمت قليلاً وأكمل: لكنها تضحكني على أي حال وأحب سماعها.

ثم ضحك للتلطيف إن كان لمزاح باتريك أثر سيئ على الحارس الذي يخفي مشاعره خلف ابتسامة هادئة دائمًا..

في هذه الأثناء تأهب راسيل لإطلاق سؤاله الجديد لكن الطبيب سبقه سائلاً الحارس: بأي معيار يتم اختيار الجنود هنا؟

نيكولا: أغلب الجنود متطوعون للقيام بذلك، والكثير من المتطوعين يتم رفضهم لاكتمال العدد وهنا يصبح الاختيار حسب القوة البدنية، ونادرًا ما يحدث عجز بأعداد الجنود فيتم التجنيد الإجباري لأصحاب المواصفات المقبولة، لكنه ليس بنفس المعنى الذي نعرفه عن إجبارية التجنيد، إذ أن الجميع يرى الشرف العظيم في القيام بهذا الواجب..

بعد ذلك أكمل راسيل أسئلته قائلاً: كنت أريد أن أعرف أين عمي بيدرو ومتى سأراه؟ ومن هؤلاء أصحاب اللحى البيضاء والأوشحة السوداء؟ هم فقط من يتحدث هنا، لا أدري كيف سهوت عن هذه الأسئلة الليلة السابقة!

نيكولاس: أما عن أصحاب اللحى فهم رجال الدين هنا، أو بالأحرى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مختلقوا الدين، مجموعة من الرجال منذ زمن قديم خرجوا بفكرة أنهم لابد لهم من إله، انتقلوا بين الآلهة كالانتقال الذي نراه في تاريخ الإنسان لكنهم لم يصلوا إلى الأديان السماوية الثلاثة، في البداية كان أرباب هذه الفكرة مثلهم كمثل إخناتون الملك الفرعوني الذي نادى بعبادة إله واحد، كانت لديهم فكرة ويريدون من خلفها الصلاح لرجال الجبل، أما الحاليون فهم متملقون باسم الدين، يتخذون منه سبيلاً لارتداء القلائد الذهبية ونيل التقرب من الملك والمعاملة الخاصة والتبجيل من السكان، رغم أن الملك هنا لا يفرق بين السكان والجنود وخلافه، لكن لرجال الدين مكانة مهيبة في النفوس، حتى إنك أشرت لكونهم فقط من يتحدث، وقد حاول عمك المسكين فهم ما يقولونه كما حاول الكثير من الأسرى من قبله، لكنه في الواقع مهما كانت درايته باللغات فلن يفهمهم، لأنها ببساطة ليست لغة ولا تراتيل حقيقية من الأساس، بل بعض الهمهمات لإضافة الرهبة للنفوس، لكن للأسف آراءهم لها أهمية خاصة في غالبية الأحيان، تؤخذ آراؤهم في كل الأمور التي لا يفقهونها ولا يمتنعون عن الإدلاء بها، بل يتناوبون في إبداء الآراء وكأنهم رجال كل المجالات..

أليكس: وهل لديهم تعاليم دينية؟

الحارس: نهائيًا، لا يمتلكون أي تعاليم لذلك أخبرتك برأيي في هؤلاء المتوشحين بالأسود، رجال الدين الحقيقيون أصحاب اللحى الطاهرة والأوجه البشوشة لا يزجون بأنفسهم في كل المجالات ولا ينتفعون من وراء دينهم بل ينفعون الناس به، أما هؤلاء فبالإضافة لما ذكرته عنهم سابقًا فهم ليسوا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رجال دين أصلاً، لا طقوس لهم! فقط عيد وحيد لتقديس أشعة الشمس ويستمر لسبعة أيام وكل شعائره هو أن يكف الرجال والنساء عن العمل ولا يقترب الرجل من زوجته ولا يخرج أي منهم خارج الجبل عبر أي شق مهما كان السبب، بالمناسبة هي الفرصة الوحيدة التي يخرج بها الأسير من الجبل وهو يضمن أنهم لن يتبعوه، لكنها مستحيلة لأن هذه الأيام لا ينام أحدهم بمسكنه بل يقومون بقضاء الأيام كلها أسفل الشقوق ينظرون لأشعة الشمس حتى تشرق وحتى تغرب، فمن المستحيل التملص من هذا العدد ومستحيل التسلق دون أن يلحقك أي من الجنود..

راسيل: إذن أراك بدأت بإجابة السؤال الأخير، أين عمي ومن معه؟

الحارس: نعم قصدت ذلك، يؤسفني القول أنك لن ترى عمك مجددًا، هؤلاء الذين تُقطع ألسنتهم يتم وضعهم في مكان معزول ويقدم لهم الطعام، قليل من الطعام، وبعض الشراب، الغالبية تموت في غضون أيام بسيطة من النزيف والألم وعدم القدرة على تناول كمية الطعام الضئيلة، والبعض الآخر تطول حياته بعض الشيء ويظل على هذه الحالة حتى يموت، وفي النهاية ينتهي بجميعهم الأمر كطعم لاصطياد الحيوانات من الغابات والتغذي على لحومها..

صدم راسيل لما سمعه عن مصير عمه وضرب الحزن قلبه، وفي الحال بدأت عيناه تذرف الدموع ومن معه يخففون عليه ويربتون على كتفيه، حتى فك الصمت باتريك قائلاً: لا تحزن لتلك الدرجة يا فتى، عمك لم يكن يبادلك الحب ذاته..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نظر راسيل وعينه مغرورقة بالدموع للكابتن الذي واصل: ولا يحب أيًا منكم، لا أقول ذلك لأنه سبب من الأسباب لما نحن فيه، لكن إليكم هذه التفاصيل، كي يقنعني بيدرو بالطيران بكم بهذه الحمولة بعدما كنت أرفض، هل تعلمون ماذا قال لي؟

راسيل بصوت متهدج: عرض عليك زيادة بالراتب؟

أجاب باتريك بالنفي..

أليكس: هددك بالطرد من العمل حال رفضت؟

باتريك بغضب: أنا أعمل لدى شركة الشحن ليس لدى بيدرو أو مارتينيز البدين..

فويث: إذن طمأنك فحسب..

باتريك: نصف إجابة، أو ربع إجابة، جزء الطمأنة جاء متأخرًا، في الواقع هو هددني بولدي وابنتي، إن لم أقلع بالمروحية سيقتلع أرواحهم، وأنا أعلم وأنتم تعلمون أنه يستطيع، وليضف شيئًا من الطمأنينة، قال لي أنه في حال تأرجحت المروحية قليلاً أو أحسست بأننا سنسقط للحمل، أن أصيح اقذف لمرات عدة، وفي هذه اللحظة كان سيبدأ في إلقاء رجاله من المروحية واحدًا تلو الآخر حتى يصبح الحمل ملائمًا، لم أملك القدرة على الرفض، لكنني من اللحظة الأولى علمت أننا سنسقط، ولم أصِح بما قاله إلا في الثواني الأخيرة فور فوات الأوان، من جهة أتظاهر بأنني التزمت باتفاقي معه فلا يصيب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أبنائي الضرر، ومن جهة أخرى قررت أنه إن كان مُقدر لنا أن نسقط، فلنسقط جيمعًا وأولنا بيدرو، بيدرو الذي لم يمانع في إلقاء راسيل نفسه، ابن أخيه، إن كان ذلك سيحمي حياته أو بضاعته، ويلقي كل رجاله بسهولة قبل راسيل، هل تعرفون لماذا؟ اسالوا أليكس، اسألوه كيف حصل بيدرو ومارتينيز على أغلب عمالهم، وكيف يعملون برواتب هزيلة ويوافقون على هذا، وكيف يمتلك مصنع الأخين كل هذا العدد من العمال، ببساطة لأنهم اختطفوهم من جزر بعيدة في المحيطات كانوا يعيشون في سلام وأجبروهم على هذا العمل، مثال مشابه لما فعله التاجر مع أهل هذا الجبل..

فويث محاولاً تقليل وطأة الكلمات على نفس راسيل المسكين: لكنني رأيت بأم عيني يا باتريك حينما سقط راسيل من التجويف إلى باطن الجبل فإن بيدرو كان أول المهتمين بإخراجه..

باتريك: إن عادوا سالمين وقال عامل من العمال لمارتينيز إن راسيل سقط في الجبل ولم يهم بيدرو لإخراجه، فما هو رد فعل مارتينيز في رأيك؟؟

وبجانب ذلك لا داعي لجعل أليكساندر يقص عليكم بالتفصيل الممل كيف عمل في هذا المصنع، كيف اختطفوه من جزيرته الفقيرة وقتلوا بعضًا من أهله أثناء ذلك، كعمال أفريقيا في الأمريكتين بسابق الزمان، لا داعي للخوض في هذا الموضوع بالتفصيل، لم يكن بيدرو نبيًا مثله مثل أخيه..

هدأ نيكولاس من حدة الحديث وقال: أنت رجل نبيل يا باتريك..

باتريك: لا، ليس بذلك النبل الذي وصلكم، أنا وغد في كثير من الأشياء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأخرى، لكنها كلها أشياء تتعلق بي وحدي، وفي هذا الشأن كنت مظلومًا وتمت التضحية بي مثلي مثلهم جميعًا..

خرج الجميع من النقاش غير مضرورين سوى راسيل، كان الطبيب يفقه هذا ويشفق على الصبي لذا قال له: راسيل، لم لا تنسج لنا قصة وتري رفاقنا قدرتك على الصياغة واستخدام اللغة؟

راسيل: لا أمتلك قلمًا، ولا أمتلك القدرة على تمالك نفسي حتى حاليًا..

فويث: هيا يا فتى، أأخبرك فكرة، أخرج ما بقلبك، أخرج صدمتك في الحديث، وارتجل. لست بحاجة لقلم، الموهوبون يستطيعون الارتجال..

يبدو أن محاولة الطبيب للتنفيس عن كربة الشاب المسكين آتت أكلها، فقد تأهب راسيل لارتجال نص خيالي يعبر عن حالته وصمت بضع دقائق ثم بدأ في القص قائلاً..

قُبيل ساعَة الفَجر التي تُبدد الغَسق، كانت أقدامه تطأ أرضًا رمليّة آخذًا في السير نحو وِجهة يعلمُها قلبه لا أطرافه، في نُقطة ما تراخت أوصاله وجلس فوق كومة من الحجارة المتهدمة جُزئيًا كفؤاده، لقد شعر أن هذا المكان هو الأكثر ملاءمة لمراقبة السماء الليلة، ضم رُكبتيه إلى صَدره المُرتَجِف بردًا وشرع يُراقب السماء ونجومها ويُفسر العلامات، أو يفتعل العلامات حتى يخلص منها إلى تفسيرٍ يُخمِد ثورة عقله اللعين ويُثبط تساؤلاته الدائمة بعض الوقت، إلى حين أن تنتهي تِلك الجُرعة المُخدرة ويعود ليتصوَّر علامات ودلائل أخرى تُقوِّم اضطرابه وهكذا.. السماء مُزينة بالعديد من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

النجوم اللامعة، لا تزوغ عنها الأعين، خالجَه شعور بأن تلك النجوم هي في الحقيقة ألماس نقي يعكس الضوء بكفاءة، لكنه لا يُعطيه إلا لمن يطلُبه، لا يعطيك لحاجتك، لكن لطلبك، والفرق كبير هنا، تمامًا كأُناس هذا الزمان، إذا شاهدوك تغرق دون طلب النجدة، تُصيبهم الهرولة للابتعاد عن مُحيط الحادث قبل أن يلحظ أحد خذلانهم ووضاعتهم، أما إن تعالى صوتك يناجيهم لطلب العون، ففي الغالب يتخلون عن صفاقتهم لفترة وجيزة جدًا ويستجيبون، ليس لنُبلهم أو مكارم أخلاقهم أو كل تلك القيم المدرسية السخيفة، لكن ليرتدوا ثوب البطولة أمامك أو أمام الجميع، أو لأن مناجاتك أحرجت تقاعسهم، أو لتأدية ما يسمونه بالواجِب كما يقولون، باختصار يفعلون ذلك على مَضد، وبالحث المُستمِيت، وفي الحقيقة فإن أفعالك التلقائية - وحدها - هي من تحدد مدى نُبلَك وتعكس هَويتك في الظروف العصيبة.. خرج بعد جُهد جهيد من متاهات عقله وقرر أن يرسل بعينيه شعاعًا لعله يصيب أحد النجوم فيعكس بعض الضوء ليُنير عتمة قلبه ولو مؤقتًا، أرسل شعاعه الأول فأصاب النجم الأصغر فانطفأ، عَلل ذلك بصغر حجم النجم ولهيب شعاع عينيه المُحترقة أشواقه للخروج من ذلك الوهن، أرسل شعاعًا آخر نحو نجم آخر، فأفل النجم وغاب، توتر قليلا وأغدق السماء بمئات الأشعة بيد أنه لم ينل غايته! اختفت كل تلك النجوم المُضيئة اللامعة، تناثرت كل تلك الألوان المُبهجة وصارت سرابًا! تمامًا تمامًا ككل هؤلاء المُتكدسين في حياته بألقاب وصفات مختلفة، وحين الحاجة، لا أحد يبقى..! كانت تلك هي المرة الوحيدة التي شَعر فيها بأنها علامة صادقة لا مُفتعَلة، ربت على كتفه بنفسه، وتحدث إلى نفسه بنبرة جافة قائلًا: لا تجزَع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يا صاحبي، سنتجاوز كل ذلك وحدنا، وننتصر وحدنا، ونتشارك الفرحة معهم، لكننا نعلم أنها تمّت بأيدينا، فقط بأيدينا، وحدنا.

بعد تلك الكلمات أشاد الجميع بروعة بيان راسيل الذي وجد في ذلك بعض السلوى عن صدمته في عمه، وفي هذه الأحيان كان الحارس يهم بالخروج من الكوخ متمنياً لهم نومًا هنيئًا حيث قال: الحديث معكم أحتاجه مثلكم وأكثر، سنكمله في ليلة أخرى، الآن نومًا هنيئًا لكم، وبمناسبة حديثنا عن الزواج، بالغد لا يوجد عمل، يعتبر إجازة لإحياء حفل زواج أحد رجال الجبل على إحدى فتياته، احرصوا على مشاهدة اللوح بعدما لم تمح العروس من عليه الرموز الطباشيرية..

باتريك الذي عاد من جده لسخريته: نعم نكتب بطباشير، هنا مدرسة الجبل الابتدائية بنين..

ابتسم الحارس ثم غادر قائلاً: ليلة طيبة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(7)

في اليوم التالي كان الاستيقاظ مختلفًا قليلاً عن بقية الأيام، انقطع نومهم بفعل أصوات الطبول على عكس أصوات ارتطام الأحجار في أيام العمل، خرج الجميع من أكواخهم ليجدوا الحراس فقط بانتظارهم وليس قادتهم بالعمل، سلك بهم الحراس الطريق إلى الساحة المستديرة ليجدوا جميع رجال الجبل هناك تقريبًا، الملك على كرسيه الضخم ورجال الدين كالعادة إلى جواره بالكساء الأسود واللحى البيضاء الطويلة للحد الذي يجعل راسيل يظن أنها لم تُحلق منذ نموها بسن شبابهم، الطبول لا تتوقف وكذلك الرقصات بالضبط كيوم استقبال الملك لنجله ولكن ببهجة أكبر، يبدو أنهم يقدسون الزواج جدًا كما ذكر الحارس بالفعل، الجدران جميعها مزخرفة بالأقمشة الملونة والكثير من الرجال يعلقون الريش الملون على رؤوسهم، بعض الريش ملون بالأحمر والبعض الآخر بالأخضر، راسيل توقف عن طرح أسئلة من أين لكم هذا من وقت ليس بالقصير، تعود على وجود ما يفاجئه دائمًا فأراح عقله عن هذه الأسئلة والتي هي الأقل غرابة وسط كل تفاصيل حياتهم، الحياة هنا غريبة حقًا، هؤلاء الرجال الذين تراهم حازمين في العمل أقوياء في القتال، لا يتوقفون الآن عن الرقص وقرع الطبول، هذا العبوس الذي ملأ وجوههم يوم القبض على أسراهم، تبدل بالابتسامات الواسعة والأوجه البشوشة، منفتحين على الحياة بالطريقة التي تجعلهم سعداء لكن دون أن تنسيهم واجباتهم، ومتفانين في العمل بالطريقة التي تجعلهم ينجزونه على أكمل وجه ولكن دون أن ينسوا حق أنفسهم عليهم..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ظل الأسرى - أو دعنا نقول راسيل ورفاقه عوضًا عن لفظ الأسرى - لأنهم في هذه اللحظة بالتحديد لا يشعرون بأن هؤلاء الراقصين المرحين يختطفونهم أو يجبرونهم على فعل ما لا يطيقونه، بل أن سكان كوخ راسيل يتعاطفون معهم في أحيان كثيرة بعدما عرفوا قصتهم من الحارس وكأنهم مصابون بمتلازمة ستوكهولم. ظلوا يراقبون ما يحدث ببهجة ويتنقلون بين المصفقين والراقصين وقارعي الطبول، لهم حرية التنقل داخل الساحة المستديرة أو خارجها بين الساحة والأكواخ في هذا اليوم، لكن أماكن الحراسة بالتأكيد تظل كما هي كغرف الذهب وخلافه، لا يسير وراءهم الحراس اليوم تقديسًا لهذه المناسبة المهمة وهذا بالمناسبة يعزز إحساسهم بالحرية، وفجأة أخذ الكابتن باتريك زمام المبادرة واشترك مع رجال الجبل في الرقصات بكل حيوية وكأنه عرسه، وأصبح يتراقص وسطهم محاولاً تقليد حركاتهم تارة ويضيف حركات جديدة عليها تارة أخرى، وهو ما لاقى ترحيب رجال الجبل جدًا، بل التفت الجميع إليه وتعالت أصوات الطبول بعدما انضم لهم، كما تابع الملك الموقف بسرور يظهر من ابتسامته العريضة، تشجع بعض الرفاق وانضموا إلى باتريك في رقصته واندمج الجميع في رقصات مختلفة وكأنهم كانوا ينتظرون هذه اللحظة التي يشعرون فيها ببعض المرح ويخرجون طاقتهم في شيء غير العمل، الطبيب اكتفى بالتصفيق حيث يرى أن الرقص يقلل من هيبة الرجل، وراسيل كذلك اكتفى بالتصفيق والجميع يعلم السبب، نعم الخجل، وسط كل هؤلاء كان الوحيد الذي يحافظ على وجهه عابسًا هو داني الذي يقلب نظره في الحضور، راع ذلك انتباه راسيل الذي فهم على الفور ضجر داني لاقتصار الحضور على الرجال فقط، كان يريد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التخفيف عن داني لكنه لن يستطيع التحدث معه بالتأكيد، لكنه ربت على كتفه ليخبره بأنه يشاركه ما يفكر به، ثم أشار إليه بالانضمام لهم بالرقص أو التصفيق وهو ما استجاب له داني فبدأ يصفق بطريقة مملة وهزيلة وعقله لا يتوقف عن التفكير في هل أن هذه هي عادات وتقاليد احتفالات الزواج هنا أم أن النساء سيأتين في وقت لاحق..

بعد فترة من الرقصات المختلفة والبهجة العارمة رفع الملك يده اليسرى إلى الأعلى ببطء وهو لا يزال جالسًا على كرسيه ومتكئًا بذراعه الأيمن على حافة الكرسي، بهذه الإشارة توقفت طبول الاحتفال ثم صدرت أصوات مختلفة كنفخ الأبواق، جلس رجال الجبل في صفوف بعد هذه الأصوات وفعل راسيل ورفاقه مثلهم فجلسوا وسطهم حتى اكتملت الصفوف، لم يكن جلوس راسيل ورفاقه وحدهم كمثل جلستهم أثناء فترات الراحة لتناول الطعام بأيام العمل، بل انصهروا وسط رجال الجبل فتجد راسيل على يمينه داني وعلى يساره أحد الجبليين، وباتريك يتوسط صفًا كاملًا من الجبليين الذين أعجبوا برقصاته وأصبح ذا مكانة خاصة في قلوبهم وباقي الأفراد هكذا..

بعد ذلك بدأت النساء يتدفقن من جنبات الساحة حاملات الطعام والشراب لوضعه أمام الرجال المصطفين، نظر راسيل إلى داني ليجده متهلل الوجه لما يرى ويراقب فتاته باهتمام شديد، بالفعل التقطها داني فور دخولها إلى الساحة، تلك المهارة التي يعلمها المحبون ويجيدونها بحذاقة، أن تصل إلى مصطفاك وسط الجموع في ثوان معدودات، يألفون طيف من يحبون ويشعرون بأنفاسه ومكانه، كأنه يرسل إليهم موجات مغناطيسية عبر الهواء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تجذب أنظارهم إلى أماكن تواجده، تلك الألفة التي يشعر بها الطفل حينما يسمع خطوات أمه قادمة نحو سريره أو قلقلة مفتاح أبيه وهو يلج المنزل بعد انتهاء عمله..

كان راسيل يشاهد ترقب صديقه لحبيبته باكتراث، يعلم تمامًا ما يدور بذهن داني الذي بلا شك يستعد ليرى أيًا من الرجال ستضع له فتاته الطعام ليرميه بكل سهام الحسد التي يملكها، لكن وكأننا بفيلم رومانسي من الدرجة الأولى؛ تصادف أن الفتاة تضع الطعام أمام داني الذي كان يستطيع سماع صوت دقات قلبه بوضوح في هذه اللحظات، فرغت الفتاة من وضع الطعام ثم ألقته بنظرة أبلغ من كل كلمات الحب التي قرأ عنها راسيل في الروايات وشاهدها بالأفلام، ما يكون حقيقيًا صادقًا تستطيع لمسه أكثر مما تقرأه أو تراه مهما بلغت روعة بيان الكاتب أو دقة أداء الممثل، يعتقد راسيل بأن الأمر لم يكن مصادفة بل إن الفتاة هرولت قليلاً وراغت بين صفوف النساء المتقدمات بالطعام لتجعل دورها يأتي مع دور داني، لابد أنها فعلت ذلك دون أن يلاحظ راسيل الذي كان مشغولاً بمتابعة تغير ملامح داني بين الحب والحسد والقلق والارتباك وغيرهم، وتلك النظرة التي أهدتها الفتاة لداني قبل مغادرتها أكدت لراسيل أنها قصدت القدوم إلى داني بالتحديد وأكدت لداني أنها تبادله شعور الحب ذاته، لابد أن هذه الفتاة ذكية وماهرة..

كان الطعام هذه المرة أكثر مما يقدم كل يوم وحتى أكثر مما قدم يوم إنجاب الملك لمولوده، بعدما انتهت النساء من وضع الطعام اتخذن من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جنبات الساحة مجلسًا لهن لمشاهدة بقية المراسم بعدما فرغن من تأدية واجبهن بإعداد الطعام، ظن راسيل ورفاقه أن هذا هو وقت تناول ما قدم لهم، لكن قبل أن يشرعوا في ذلك رفع الملك يده مرة أخرى ليقوم من بين رجال الجبل رجل يعلق ريشة حمراء على رأسه ويحمل بين يديه لوح الزواج مرسومًا عليه الثلاثة رموز التي تحدث عنهم الحارس ليلة أمس، تقدم هذا الرجل نحو الملك وأراه اللوح ليشير إليه الملك فيستدير ويصبح مواجهًا لمجلس الرجال ويرفع اللوح لأعلى مؤكدًا قبول ابنته للزواج من المتقدم لها، طبعًا هذا القبول معروف مسبقًا لدى الملك وعليه قامت هذه الاستعدادات والترتيبات للاحتفال لكن تلك هي الطقوس كي يرى جميع سكان الجبل اللوح ويشاركوهم السعادة والفرح، بعد ذلك وضع اللوح على الأرض وقام رجل آخر لكن بريشة خضراء اللون ويتقدم نحو الملك ثم يشير إليه الملك فيصافح والد العروس ويتعانقا ويتقدم من خلفهما بعض الرجال حاملو الريش باللونين الأحمر والأخضر ويقفوا على يمين ويسار الملك، تبين لراسيل ورفاقه أن هؤلاء بالريش الأحمر هم ذوو العروس وأولئك بالريش الأخضر هم ذوو العريس..

بعدما وقفوا هكذا تقدم آخر حاملي الريش الأخضر ليقف أمام كرسي الملك الذي نزل من كرسيه ومد يده اليمنى ليمسك بها الرجل ثم مد يده اليسرى فتتقدم إحدى الفتيات مسرعة من بين صفوف النساء لتمسك بيد الملك فينظر الملك عبر شق الجبل للسماء الكائنة فوقه لبضع دقائق ثم يغمض عينيه لدقائق أخرى قبل أن يأخذ من أحد الجنود قطعة من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القماش الأبيض ويغطي بها رأس العريس والعروس لدقيقتين أو أكثر قليلاً، وبعد ذلك يرفع قطعة القماش عن رأسيهما ويعود إلى كرسيه فتدق الطبول وتصفق النساء ويتعانق أصحاب الريش جميعًا ويبتهج جميع الرجال الحاضرين، ثم يمسك الرجل بيد زوجته ويتقدم بها نحو مقعدين مخصصين لهما في إحدى جنبات الساحة ليتناولا طعامهما، وما أن يبدآ في تناول الطعام فيبدأ رجال الجبل خلفهم في التهامه كذلك، أما النساء فقد أكلن كعادتهن داخل غرف إعداد الطعام قبل الخروج به للرجال، وبالمناسبة تلك هي القاعدة في الجبل حيث أنهم يرون أنه من غير العدل أن تتقدم النساء بالطعام لعدد غفير من الرجال وينتظرن حتى يفرغ الرجال من الأكل فيعدن ببقاياه إلى غرف الإعداد، كل هذا وبطونهن خاوية، فجرت العادة أن يجهزن جزءًا لأنفسهن أولاً ثم يجهزن طعام الرجال بينما هم في العمل، وما إن اقتربت فترة الراحة تقوم النساء بتناول طعامهن ومن بعدها يخرجن إلى الرجال بطعامهم..

كل شيء هنا دقيق، كل الأعمال تسير وفق نظام موضوع لأسباب فلسفية قادرة على إقناعك، وإن كانت غير قادرة على ذلك فحسبها أنها لا تثير سخطك على أي حال..

فور أن انتهى العروسان من تناول وجبتهما قاما ليقفا أمام كرسي الملك ثانيًا ليتقدم إليهما أحد رجال الدين هؤلاء فيضع يديه على رأسيهما ويحرك شفتيه ببعض الأشياء التي يعتقد راسيل ورفاق كوخه أنها ترهات لا أساس لها من الصحة كما أخبرهم نيكولاس، بعد ذلك يذهب العروسان إلى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مكان نومهما والملك إلى غرفته ورجال الدين ينصرفون والبقية لهم الحرية في التنقل بين الساحة والأكواخ وأماكن النوم..

أخذ راسيل صديقه داني - الذي لم ينفك عن اختلاس النظر لفتاته والتبسم أثناء مراسم العرس - وتوجه به نحو الكوخ، على باب الكوخ كان الحارس يتناول طعامه، حياة الحراس هناك تسير بمواعيد مختلفة عن البقية، دخل راسيل رفقة زميله إلى الكوخ وقال له: هذا هو الحارس الذي حدثتك عنه سلفًا..

Telegram:@mbooks90

ثم استطرد: لابد أن تتوقف عن هذه النظرات، كان من الممكن أن يكشف أمركما بسهولة..

داني: ناهيك عن ذلك، لا أكترث، وإن كنت أكترث فلن أستطيع تركها تنظر إلي وحدها دون أن أبادلها ذلك، أخبرني ما هو مهم، هل سألت الحارس عن شيء؟

امتعض راسيل من عدم مبالاة صديقه لكنه - كعادته - لا يبدي امتعاضه ثم قص على داني حواره مع الحارس حول أمر الزواج بالتفصيل..

بعد ذلك دخل الحارس الكوخ وحيا راسيل وزميله ثم قال وهو يبتسم: لابد أن هذا هو الفتى الذي طلب منك سؤالي عن الزواج هنا..

توتر راسيل قليلاً ثم قال للحارس: هل سمعتنا ونحن نتحدث؟

بعدما أطلق راسيل سؤاله بثانية واحدة أدرك انه أكد شك الحارس

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بسؤاله الغبي هذا..

لكن الحارس الهادئ أجاب: لا، لكن أي الحاضرين بالساحة كان يستطيع التعرف على ذلك بسهولة، كما يستطيع التعرف على الفتاة التي يرغب في الزواج منها، ويبدو أنها ترغب في نفس الشيء..

تحدث راسيل بسرعة موجهًا كلامه لداني قائلاً: لا تقلق، هذا الحارس لن يؤذينا، هو صديقنا الآن..

فأجابه داني: لا لست قلقًا من الأساس، لا داعي لذلك..

شعر راسيل بأنه كان يطمئن نفسه من الأساس ثم قال للحارس: لم أرك في العرس، كيف رأيت ذلك؟

نيكولاس: حضرت لبعض الوقت وانصرفت لتناول طعامي..

داني محاولاً كسب ود الحارس: لماذا لم تبق؟ الأجواء كانت جميلة وهذه الأيام لا تتكرر كثيرًا هنا حسب اعتقادي..

الحارس: هذا بالنسبة لك، لكنني حضرت مثل هذه المناسبات كثيرًا جدّا طيلة مدة مكوثي هنا..

راسيل: لكن بما أن الأحداث انتهت في منتصف اليوم لماذا أعطونا راحة اليوم كله؟

الحارس: هم يقدسون هذه الأيام كما ذكرت لك ولا يعملون بها، لكن الأحداث لم تنتهي، انصرف الرجل ليضاجع زوجته ثم يعودان مرة أخرى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ليحتفلا بالطفل الذي بدأت هيكلته برحم أمه، هم طبعا لم يتعلموا البيولوجيا كما تعلمناها ولا علم لهم بمراحل نمو الجنين وتكونه من البداية؛ بل لا يعلمون ما هو الرحم أصلاً، ففي اعتقادهم بأنه بمجرد أن يجامع الرجل زوجته فإن الجنين يبدأ في التكون من هذا اليوم، لذا يظنون أن مدة الحمل قد تكون تسعة أشهر وقد تزيد عن العامين، ويعتقدون أن هذا الأمر يتوقف على مباركة آلهتهم التي تطلق الروح في الجنين داخل أمه حينما ترى أن هذا هو الوقت المناسب لوصوله إلى الدنيا..

راسيل: أسلوب العصور القديمة، كلما جهلت السبب ألقِه على عاتق الآلهة..

داني: وهل تراهم هنا أبناء عصر حديث! هذا طبيعي..

راسيل: معك حق، لكن الكثير من النظام وبعض العدل هنا أعطوني انطباعًا بالتحضر المستتر خلف عباءة الزمن الذي يعيشون به، لكنه تحضر معنوي ليس ماديًا، مع كثير من التخلف المفروض عليهم لعدم اختلاطهم بالشعوب ومكوثهم داخل الجبال..

الحارس: لا أرجوك، هذا ليس الوقت المناسب لمناقشة الفلسفة الخاصة بك، اسمعا لدي خبرًا جيدًا لكما، أو لداني على وجه التحديد..

تهلل وجه الشابين أكثر فواصل الحارس: هذه الفتاة التي تنظر إليها ليست من بنات الجبل، بل جاءت أسيرة في يوم ما حينما سقطت طائرتها بمكان ما فوق الجبل، وقد يسهل هذا أمر زواجكما نوعًا ما..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اغتبط داني جدًا وسأله: هل أنت متأكد من ذلك؟

نيكولاس: نعم، لقد جاءت بعدي ببضعة أشهر، أنا متأكد من ذلك تمامًا..

راسيل: أظن أن هذا ليس هو السؤال المناسب يا داني، السؤال الأهم هو هل أنتما متأكدان بأن من رأيتها في العرس يا نيكولا هي نفس الفتاة التي يحبها داني دون أن يختلط عليك الأمر، هل كانت هي من وضعت الطعام أمام داني أم لا؟؟

أشار الحارس بصحة سؤال راسيل لكنه نفى معرفته بمن وضع الطعام لداني، ثم بدأ في سرد بعض التفاصيل عن جسد وملامح وجه الفتاة التي يقصدها، وكان كلما ذكر تفصيلة ما انشرح وجه داني أكثر فأكثر موافقًا إياه على ما يقوله، هي الفتاة بالفعل..

داني: إذن ماذا ينبغي عليّ فعله؟

الحارس: بما أنها أسيرة ولا أهل لها هنا إذن سيكون تقدمك للزواج منها عن طريق الملك..

راسيل: لكن الأمر غير مضمون، وبه كمية غير قليلة من المخاطرة كونك أول أسير يتقدم للزواج داخل هذا الجبل، أتفهم أن كونها أسيرة يحد من شدة الموضوع لكن تراودني خيالات بأنهم قد يشعرون بكونك لا تشعر بحجم مأساتك هنا فسيرفضون طلبك ويرهقون كاهلك بمزيد من الأعمال..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحارس: خيالاتك سوداء يا فتى، لا أظن ذلك، هم لا يقومون بتعذيبكم هنا، بالعكس فقط يأمنون غدركم ويعاملونكم في أغلب نواحي الحياة بنفس تعاملهم مع رجالهم، كان بمقدورهم مثلاً منعكم من حضور احتفال الزيجة أو المولود الجديد، وكان بإمكانهم تقديم الطعام مرة واحدة لكم مثلاً، يقدرون على كثير من العذاب ولم ولن يقدموا عليه كما أتصور..

داني: أتفق مع الحارس فيما قاله، إذن ماذا يجب عليّ فعله؟

الحارس: هذا يسير.. سأحصل لك على لوح وستكتب عليه الثلاثة رموز التي رأيتها على اللوح منذ قليل، هل تتذكرها؟

داني: أتذكر أول رمزين.

الحارس: لا عليك، سأكتبها كلها عوضًا عنك، وأظن أن هذا اليوم الجيد هو الوقت الأمثل للتقدم بطلبك، حتى إن رفضوه سيكون مزاجهم السعيد الليلة شفيعًا لك، وسيجنبك رد الفعل العنيف الذي لا أتوقعه من الأساس..

داني: إذن فليكن..

الحارس: جيد، سأذهب لأجد لك لوحًا ونكتب الرموز ونعود للساحة، أظن أن الاحتفالات ستتواصل الآن، ستجلس في آخر الصفوف واللوح خلفك، وعندما أشير لك من بعيد سيكون هذا هو الوقت المناسب لتتقدم بلوحك للملك..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وافق داني على ما قاله الحارس وشكره على ذلك كثيرًا ثم التفت لصديقه راسيل الذي تمنى له حظًا جيدًا وغادر الكوخ ليسبقه هو والحارس نحو الساحة، بينما ظل داني في الكوخ منتظرًا عودة الحارس باللوح..

بعد قليل عاد العروسان إلى الساحة واستمرت الاحتفالات تيمنًا بقدوم طفل جديد عاجلاً أو آجلاً من نتاج هذا الزواج، نفس الطبول والرقصات وكل ما حدث في أول اليوم يعاد مرة أخرى دون كلل أو ملل، ثم يرفع الملك يده ليتقدم العروسان نحو أحد رجال الدين مرة أخرى ليضع يده على بطن العروس ويحرك شفتيه مرة أخرى ليبارك الجنين الذي بداخلها..

كان باتريك مستلقيًا إلى جوار الطبيب بآخر الصفوف وحدهما في هذه اللحظات فوضع يده على فمه واصطنع أنه يتفل على الأرض وهو يهمس في أذن فويث قائلاً: هل يبارك الجنين أم يشيد بما تتحمله الأنثى في الحمل بعد ذلك؟ وإن كان يشيد بها لماذا لا يشيد بدور الرجل، لماذا لا يكشف تنورته ويضع يده فوق....

قبل أن يكمل دفعه الطبيب ليصمت حتى لا ينفجر في الضحك ويفضح أمرهما، تراجع باتريك للخلف قليلاً وهو يقول: يا لها من مجتمعات أنثوية متعفنة!

وعاد لاتكائه على الأرض تاركًا فويث يجاهد ليكتم ضحكته بصعوبة بالغة..

أما داني فكان قد عاد للجمع وجلس بعيدًا عن صفوف الرجال وقريبًا من مجلس الطبيب والكابتن، لكن عينه كانت مثبتة على نيكولاس منتظرًا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

منه الإشارة للتقدم، تشبث نظر داني بالحارس مما أثار انتباه حارس آخر، وهو الحارس الذي يحرس كوخ داني نفسه، فهمّ ليتقدم نحو داني ليشير إليه بالنظر إلى الاحتفالات لا الحراس حتى لا ينهره أحد الرجال لعدم اكتراثه وهدم الحفل، لكنه كان أبطأ من إشارة نيكولاس لداني الذي قام على أثرها الفتى وهو يحمل اللوح بين يديه ويستعد لاتباع تعاليم نيكولاس بحذافيرها..

تقدم داني باللوح ذي الرموز الثلاثة نحو مجلس الملك وبدأ في لفت أنظار البعض أثناء تقدمه تدريجياً حتى خرج من بين كل الصفوف، وأصبح جميع الرجال والنساء وكهنة الدين ينظرون إليه، لكن الأهم كان الملك، الملك طبعًا يعرف أن ما بين يدي داني هو طلب للزواج، لكن الغريب هو أن أحد الأسرى من يحمل ذلك اللوح، أشار الملك فتوقفت الطبول عن الدق وتوقف داني بمكانه..

الأمر كان أصعب مما يظنه داني، للملك هيبة كبيرة وهو يتكئ بذراعه الأيمن على ذراع كرسيه ويده اليسرى بجانبه، أشار الملك بسبابة يده اليسرى إلى داني الذي تسمر مكانه ليتقدم نحوه..

بخطوات ثقيلة كالمكبلين من أرجلهم بالقيود الحديدية تقدم داني نحو الملك وهو يحمل اللوح، ثم وضعه أمام الملك وأثنى ركبته اليسرى وسند بها على الأرض بينما أثنى ركبته اليمنى لأعلى وينظر بوجهه نحو الأرض منتظراً رد فعل الملك، أشبه بالركوع أمام الملك لتبجيله..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تعجب الملك ورجال الجبل فيما بينهم من هذا القرار الذي لم يقبل عليه أي أسير طيلة حياتهم وحياة أجدادهم، حيث يخلو تاريخهم المدون من حدوث مثل ذلك الأمر سابقًا..

انتظر الملك قليلاً وهو يقلب نظره بين رجال الجبل ورجال الدين والأسرى والنساء الكائنات على جانب الساحة، ثم أشار لجنوده إشارة ما فأتوه بهذا اللوح الخشبي الذي يصدر عليه قراراته، في هذه اللحظات كان راسيل وجميع رفاقه وبعض المتعاطفين مع الأسرى من رجال ونساء الجبل قلقين جدًا على مصير هذا الشاب، راسيل كان متأكدًا تمامًا أن الملك سيكتب قرار إعدام داني حالاً، وأخذ ينظر للحارس الذي يقف مكانه هادئًا وممسكًا بخوذته إلى جانبه..

بخلاف كل هؤلاء كان باتريك من ضمن المتعاطفين مع داني لكنه لا يستطيع منع نفسه من أن يضحك بداخله على هذا الملك الذي يصدر أوامره مكتوبة بالطباشير..

قام الملك وأخذ اللوحة وكتب عليها بعض الرموز ثم نظر إلى رجال ونساء الجبل الذين بدأ أغلبهم في التصفيق بينما رفع بعضهم يده لأعلى، يبدو أن الملك كان يقوم باستفتاء شعبه في هذا الأمر، راسيل وداني وكل رفاقهم أيقنوا أن طلب داني بيد السكان، وبما أن الأقلية فقط ترفع يدها لأعلى إذن فالطلب مرفوض..

أحبط داني مما رآه لكنه فوجئ بالملك يأخذه من يده ويسير به نحو

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

النساء، ثم يشير نحو النساء ففهم داني أن الملك يريده أن يريه أي الفتيات يطلبها للزيجة..

تردد داني قليلاً، بما أن طلبه قد رفض فإن الملك قد يلحق الضرر بهذه الفتاة ظنًا منه أنها شجعته على أن يطلب طلبه هذا، أو قد يبعدها عن وضع الطعام في أيام الاحتفالات وبذلك يخفيها عن عينه (بالأيام العادية يكون الطعام موضوعًا سلفًا قبل مجيء العمال؛ إما أن تضع النساء الطعام أمام الرجال فهذا يحدث بالاحتفالات فقط حتى تشارك النساء في حضور المراسم)..

في النهاية خاف داني أن يتأخر على الملك وانتهى بالإشارة إلى الفتاة التي يحبها فعلاً ويطلب الزواج منها، من ملابسها وملامحها عرف الملك طبعًا أنها أسيرة، ابتسم الملك ابتسامة جافة ثم أخذ الفتاة من يدها واتجه بها نحو كرسيه..

أما داني المذهول والمرتعد تسمر مكانه مرة أخرى كأن أوصاله تخشبت قبل أن يدفعه أحد الجنود ليبتعد قليلاً عن النساء فيبتعد مهرولاً وقد أصابه الفزع من الدفعة المفاجأة..

في هذه الأثناء أشار الملك للوح فحمله جنديان وتقدما به نحو الفتاة، يبدو أن الملك يستطلع رأيها في الزواج من داني!!

إذن الأمور مختلفة هنا، رفع اليد هنا دلالة على الرفض وليس العكس، هذا ما فهمه داني ورفاقه، أو هذا ما أملوه..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تقدمت الفتاة نحواللوح ثم حملته ووضعته أمام الملك مرة أخرى دون أن تغير فيه شيئًا، بالتأكيد هي توافق على الزواج من داني..

كان الملك يعطيها الفرصة - مثلها كمثل نساء الجزيرة - بحمل اللوح معها واستغراق مدتها في التفكير كما تنص القواعد هناك، لكنها وبدون تردد قبلت الزواج من داني..

بعدها أشار الملك للفتاة بالانصراف ثم استدعى قادة جنده وكتب كل منهم بعض الرموز، وبعدما فرغ من التشاور معهم بالرموز أشار لاستدعاء رجل آخر، كانت هذه هي المرة الثالثة تقريبًا أو الثانية التي يرى فيها راسيل ورفاقه هذا الرجل الذي لا يظهر كثيرًا، رآه قبل ذلك في الاحتفال بالمولود والآن يراه ولا يتذكر متى كانت المرة الثالثة إن كانت هناك مرة ثالثة بالأصل..

كان لباسه كلباس الرجال لا اختلاف سوى أن وسطه كان محاطًا بحزام من الريش الملون..

رسم الملك لهذا الرجل بعض الرموز، بعد ذلك أشار هذا الرجل إلى أحد جدران الساحة، وكان هو الجدار الكائن خلف كرسي الملك..

تقدم الرجل نحو هذا الجدار وأزال الأقمشة المزينة برسمة الملك الضخمة لينكشف الجدار الذي كان مليئًا بالرسومات والنقوش، البعض من تاريخ هذا الجبل مدون هنا إلى جانب الكثير من الرسومات..

باستخدام عصا طويلة أشار الرجل - والذي بدا هو من رسم هذه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الرسومات ويحفظ أماكن تواجدها على الجدار - إلى رسمة ما ونظر إلى داني..

فهم داني أنهم يريدون إرسال رسالة له عن طريق تكوين جملة من هذه الرسومات كما فعلوا معهم حينما علموهم أدوارهم في العمل، نظر داني ليجد رسمة واضحة لرجل وفتاة إلى جوار بعضهما البعض، وفهم الجميع منها أنها دلالة على الزواج فهز رأسه مبديًا تفهمه..

بعد ذلك أشار الرجل إلى شمس مرسومة، وإلى جوارها رسمة أمطار غزيرة، وكرر إشارته إلى الرسمتين ثلاث مرات لكل واحدة..

أخذ داني بعض الوقت ليفهم ما يرمي إليه الرجل بالإشارة إلى الرسمتين ثلاث مرات لكنه في النهاية لم يفهم، وكذلك راسيل وأغلب الرفاق، لكن داني في قرارة نفسه قال أن الشمس والمطر لا يوحيان بالخطر، لذلك هز رأسه مبديًا أنه فهم قصد الرجل دون أن يفهمه، بجميع الأحوال هو يريد الزواج من الفتاة مهما اشترطوا، وهاتان الرسمتان لا قلق منهما كما يشعر..

بعد ذلك عاد الرجل إلى مكانه وأشار الملك إشارة ما فقرعت الطبول مرة أخرى والرقصات عادت لتجتاح الساحة مجددًا، لكن داني ظل واقفًا أمام الملك لا يفهم ماذا يحدث وينتظر تقدم الفتاة باتجاهه لكنها لم تتقدم، وحينما طال وقوف داني كذلك دفعه أحد الجنود للعودة إلى وسط الساحة والابتعاد عن كرسي الملك الذي غادر الساحة أصلاً وعاد إلى غرفته..

بعد بعض الوقت انتهت الاحتفالات وعاد الجميع إلى أماكن نومهم، لم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تكن هناك وجبة ثانية من الطعام في هذا اليوم الخالي من العمل والذي احتوى على وجبة أولى دسمة وبكميات كبيرة..

دخل داني كوخ راسيل قبل أن يغادر إلى كوخه مستغلاً ميزة الحرية الممنوحة لهم تلك الليلة حيث لا يقودهم الحراس، سأل داني كل من بالكوخ إن فهموا ما يرمي إليه الرجل بالإشارة إلى الشمس والقمر ولماذا لم يتزوج الفتاة رغم الرقص وكل ذلك..

اختلفت الآراء بين من بالكوخ، أولها كان من يرى أن الفتاة حينما وضعت اللوح على الأرض كانت ترفض مناقشة عرض الزواج من الأساس، وكان هذا هو رأي أليكس، أما راسيل فكان يرى أنه حينما رفع القليل من الناس أيديهم وصفق الكثير فكان هذا دليل على الرفض؛ فمن البديهي أن من يوافق سيرفع يده، عارضه داني في ذلك متعللاً بأن هذا بديهي في عالمنا لا عالمهم..

لكن راسيل قال: إن الأمور واضحة ولا تحتاج لتفكير لكن داني يعلق نفسه بحبال الآمال الذائبة ولا يريد أن يعترف لنفسه برفض فكرة زواج الأسرى هنا، فنحن هنا أسرى نأكل لنعمل ولسنا في رحلة ترفيهية..

أما الطبيب فرأى غير ذلك حيث قال: طالما علت الرقصات مرة أخرى فلابد أنهم وافقوا، والسر خلف عدم الزواج بها الليلة يكمن خلف معنى الإشارة للشمس والقمر التي لم نفهمها..

وبالنسبة لباتريك فكان رأيه أن الفتاة قبيحة ولا داعي لكل هذا العناء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أصلاً..

وحينما شعر باتريك أن داني قد تأذى من تعليقه قال له: لا تقلق يا روميو، أظن أنك ستتزوجها، رأيي كرأي فويث، رغم أنني أشعر بأن الإشارة للشمس تدل على الصيف والإشارة للمطر تدل على الشتاء، وإن كان ظني صحيحًا فذلك معناه لا شيء لأنني لا أفهم ما دلالة الصيف والشتاء في هذه الحالة!

ثم ضحك..

وبعدها عاد ليستأنف: لكن شعوري كشعور فويث، إن كانت الزيجة مرفوضة إذن لماذا أراد الملك معرفة الفتاة التي تختارها ولِم أتى بالرسام وكل ذلك، كان اكتفى بنهرك أو أي شيء.. الرفض في حالة واحدة إن كان وضعها للوح دون أخذه هو ما يعنى الرفض..

داني: لا، أنا أثق تمامًا أنها لا تريد رفضي..

باتريك: إذن أبشر، ستتزوجها بمنتجع الجبل السياحي وتنجب منها أطفالاً عراة بمؤخرات حمراء كالنسانيس..

الطبيب: ألا تستطيع إكمال حديثك بطريقة سليمة مرة واحدة حتى؟

باتريك ناظرًا إلى الطبيب: أخفِ ابتسامتك وأنت تحاول كتم الضحك قبل طرح السؤال أولاً..

نقل راسيل الحديث إلى جانبه قائلاً: إن كانت الشمس هي الصيف

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والمطر هو الشتاء والصورة الأولى هي الزيجة، إذن قد يكون المعنى أن اجتماعك بالفتاة أشبه باجتماع فصلي الشتاء والصيف في آن واحد وهو ما يستحيل حدوثه، وهذا يتناسب مع ظنك أن الرفض ليس من جانبها، ويتناسب مع أن الزواج لن يحدث!

أليكس: اقتنعت بما تقول، وقد يكون هذا الرجل ذو الحزام الريشي ليس رسامًا أصلاً كما افترضنا بل رجل مصطفى لدى الملك والملك وكَّلَ له القرار، لكن لماذا إذن استطلع الملك رأي الناس؟ أو قد لا يكون هذا استطلاعًا من الأساس؟

يا إلهي! ستجعلنا نحدث أنفسنا يا داني، لقد أصابني الصداع..

ركن الجميع إلى رأي راسيل في النهاية عدا الطبيب الذي رأى أن الزواج مشروط بشيء ما لم يفهموه، لكن رأيه كان الأضعف بعدما لم تتم الزيجة فعلاً، أما باتريك فلم يكن يلقي بالاً بنفس قدر اهتمام البقية..

في هذه اللحظة دخل الحارس الذي ينتظره الجميع لفك اللغز إن كان قادرًا على ذلك فقال باتريك: أخيرًا جاء المحقق نيكولاس للفصل في قضيتنا..

ضحك نيكولاس الذي بدأ يعتاد على مزاح باتريك ويروق إليه ثم قال: لم هذا التجهم يا داني؟ ألست سعيدًا؟ لقد وافقوا على زواجك..

داني: كيف؟ لم يحدث شيء..

قاطع الطبيب حديث داني قائلاً: نيكولاس أخبرنا بمعنى الشمس والمطر..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نيكولاس: بالفعل هذا هو اللغز بالنسبة لكم، الشمس تدل على فصل الصيف والمطر يدل على الشتاء.

باتريك: أخبار قديمة اكتشفها العالم الجليل باتريك من قبل..

أكمل الحارس وهو يضحك بهدوء: هم هنا لا يعرفون الفصول الأربعة ولا التقويم السنوي وهكذا، يعرفون اشتداد الشمس وهطول المطر، الشروق والغروب، لا سنوات ولا أيام ولا أسابيع ولا كل ذلك، وهذه الإشارة تدل على أن زواجكما مقبول بعد تعاقب اشتداد الشمس وهطول المطر ثلاث مرات بالنسبة لعالمهم، أما بالنسبة لعالمكم فالترجمة هي أنهم وافقوا على الزواج بشرط مرور ثلاثة أعوام على وجودك بينهم وعملك لصالحهم ليأمنوك، وهذا معنى الإشارة ثلاث مرات لكل صورة عوضًا عن مرة واحدة..

بعد هذه الكلمات انشرح صدر داني رغم طيلة المدة المطلوبة وبادله الجميع بالعناق والمباركات لكن الحارس قطع هذه الفرحة قائلاً: يجدر بك المغادرة يا داني، لقد أطلت جلوسك هنا وقد يثير هذا شك باقي الحراس..

فقام داني على الفور والسعادة متمثلة في نظراته وملامحه قبل أن يسأل: عذرًا لدي سؤال أخير، هل تفهمت الفتاة هذا المعنى؟

الحارس: بالتأكيد، هي هنا منذ مدة طويلة ولابد أنها أتقنت لغتهم، لا تقلق، هي تعلم ما تعلمه أنت الآن..

بعد ذلك غادر داني مسرورًا وباتريك يودعه قائلاً: الفتى مسرور لإتمام

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

زواجه بالجبل بعد ثلاثة أعوام من هذه الحياة المملة، يا إلهي أرجوك ألا أحضر هذا اليوم، سواء نجوت من هذه المصيبة حيًا وعدت إلى الوطن، أو مت هنا من العمل أو الملل..

الطبيب ضاحكًا: لم كل تلك المبالغة؟

الكابتن: مبالغة؟ تريد أن أظل هنا لثلاثة أعوام أخرى؟ لا، ابق وحدك، أنا أريد الموت إن كان ذلك مصيري..

الحارس وهو يغادر: من يراك وأنت ترقص اليوم لا يتوقع أن تقول ذلك..

باتريك: أنا فقط أتدبر أموري وأقضي أيامي حتى أموت يا صديقي، ثم إن فرحة هذا الفتى يوم زواجه ستكون مبالغ فيها، وتلك الرومانسية الزائدة تصيبني بالحموضة ولن أجد صيدليات هنا..

ضحك الجميع بعد هذه الكلمات التي أنهوا بها يومهم السعيد هذا، ليس سعيدًا بالمعنى الحقيقي لكن مقارنة بأيامهم الأخرى هنا فهو أسعدها، لم يعملوا وأكلوا أكثر وشاركوا الرقص والمرح ومروا بأحداث جديدة، كما أن قصة صديقهم داني انتهت نهاية سعيدة بالنسبة له، أما الآن فقد حان وقت نومهم لممارسة العمل باليوم التالي..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(8)

على الجانب الآخر في وطن راسيل، فإن سفينة البضائع التي انطلقت مع المروحية ببداية الرحلة غرقت لزيادة الحمل هي الأخرى وكان ذلك قبل فقدان الاتصال بالمروحية من جانب مقر المراقبة أصلاً أي قبل تحطمها، مارتينيز طيلة هذه المدة كان أشد حزنًا على هذه الأموال من حزنه على فقدان ابنه الوحيد الذي اعتبروه في عداد الموتى هو وكل من كان بالرحلة بعدما غرقت جثته مع السفينة أو فقدت مع المروحية التي اختفت من مسارها وفقدت اتصالها بمقر المراقبة، وبما أن شركة الشحن تحصلت على مبالغ تعويضية من مارتينيز – وهو ما عظم مصيبته في نظره - بعدما أخبرهم التاجر البدين بالخطة التي أعدها مارتينيز وأُجبر عليها قادة السفينة والمروحية، فإن الشركة حتى تبدأ الإجراء الروتيني بالبحث عن المروحية المفقودة سيكون الناجون من تحطمها قد هلكوا جميعًا، هذا إن كان البحث الروتيني الرتيب سيصل إلى مكان المروحية أصلاً وإن كان هناك ناجون من الأساس.. هذه هي نظرتهم للأمور هناك في دولتهم، لا يعلمون بعالم الجبل هذا الذي يعيش به أغلب من اعتبروهم أموات وتلقوا التعازي الحارة بخصوصهم..

أما أم راسيل فلم ينسِها الوقت كما أنسى مارتينيز الذي عاد بعد بضعة أيام ليباشر عمله لتعويض خسائره، ظلت تبكي - مثلها كمثل زوجة بيدرو وبناته وطفله - ليلاً نهارًا منذ فقدانها لابنها وهي تعلم تمامًا أنها كانت سببًا أصيلاً في ذلك بتلك التربية التي نشأ عليها من قبل والده بعدما نزعت يدها تمامًا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من هذا الشأن وتركته لمارتينيز كاملاً كما تترك له أي شيء وكل شيء، هذا الرجل الذي لا يعرف في حياته سوى الأموال، يأكل معها وهي تبكي، يكلفها بخدمته في منزله وهي تبكي، يضاجعها حتى وهي تبكي، غير مكترث إلا بمصيبته المادية التي يحاول تعويضها، وليس بالغريب أنه ينتظر بعض الوقت لتستقر أمور شركته حتى يتزوج من امرأة صغيرة قادرة على الإنجاب لينجب منها ذكرًا يعوض به راسيل وينتظر أعوامًا وأعوامًا أخرى حتى يثقل كاهله بأمور العمل مثلما فعل مع ابنه المفقود، أو الميت كما يعتقدون، لم تغيره المصيبة، أو بالأحرى لا يرى مصيبة سوى في خسارة الأموال، والباقي يسهل تعويضه، لعله يجد العزاء في التخلص من أخيه الذي كان يشاركه في العمل، وحتمًا سيذيق أرملة أخيه وأطفالها الأمرّين حتى يحصلوا على حقهم فيما تركه بيدرو.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(9)

في اليوم التالي استمر الرجال في أداء ما يفعلونه كل يوم تقريبًا، العمل ولا شيء غير العمل، تلك الأيام التي يرتاحون فيها كيوم مولد الطفل ويوم العرس تركت بداخلهم بعض الكسل، إذ أنهم في البداية لم يكونوا يعرفون وجود مثل هذه المناسبات التي تعفيهم من مشقة العمل ليوم أو بعض يوم، وهو ما يمثل التدرج الطبيعي في اختلاف المشاعر بالنسبة للنفس الإنسانية، في بادئ الأمر كانت كل آمالهم البقاء أحياء فحسب، أن يقطع أهل الجبل من جسدهم لكن ليس من عمرهم، ثم تطور الأمل لأن نبقى أحياء ودون أن تُقطع ألسنتنا، نعمل بأي الأعمال التي يطلبونها طالما سنحافظ على حياتنا، وها هم يقدمون لنا الطعام وبعض الماء وذلك يعد كرمًا كبيرًا، لكن بعدما ذاقوا أيام الراحة. لذا لِم لا يتطور الطموح إلى العمل؟ لكن لأيام أقل بالأسبوع أو فترات أقل في اليوم؟ وهكذا تظل راضيًا بما هو في يديك حتى تطمع بما هو أكثر، ثم الأكثر وبهذا قد تصل إلى الحد المشروع من الطمع في التطور الطَموح، كالذي يحدد سقف أمانيه وما أن يصل إليها يتخذها أرضًا صلبة يقف عليها بثبات لينظر إلى أعلى نحو سقف الأماني القادم، طالما لم يبالغ ولم يكن جشعًا، فهو في طريق سليم، أما ما هو ليس محمودًا على الإطلاق فهو الطمع الذي قد يصل بك إلى الحلم فيما ليس لك من الأساس، فيما لا تستحق، فتسلك طرقًا ملتوية بعيدة كل البعد عن التسلق الشاق نحو السقف العالي لأمانيك، فلماذا ستتسلق الأحجار الصلبة الجارحة وتخاطر بالسقوط لتصل إلى قمة الجبل طالما أنك تستطيع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إحضار طائرة خاصة تضعك فوق القمة دون عناء يذكر؟ وبغض النظر عن أن ذلك المثال لا يمكنه التعبير عن المعنى الذي نرمي إليه بشكل كلي - فالبعض له الحق بالوصول بالطائرات - لكن مجمل الحديث للتنفير من الرشوة والاختلاس والتملق إلى آخره، ندعو الله ألا توضع في طريقنا المعضلات التي لا تحل سوى بتلك الطائرات المشبوهة يا قارئي العزيز في بلدنا الأعز، فتضعف أنفسنا أو نُسلب حقوقنا..

بقليل من الدقة وكثير من التراخي أكمل الرجال عملهم للفترة الأولى من اليوم ثم اتجهوا لتناول الطعام، لكن قبل تناول الطعام تسلل داني إلى غرف الإعداد ليجد محبوبته في مؤخرة الصفوف متوجهة لوضع الطعام، أصدر صوتًا خفيفًا التفتت إليه فوجدت داني بالخلف، أصابها القلق قليلاً وتوترت لكنها سريعًا ما عادت نحو داني وتفوهت بكلمة واحدة: الزم مكانك!

ظل داني مكانه منتظراً عودتها، ولما تأكدت الفتاة من خروج الجميع عادت إليه وقالت له: هل تفطن لغتي؟

أجابها داني بسرعة: نعم نعم!

فقالت له بحياء: إذن ماذا تريد ولِم تخاطر؟

داني: فقط أردت معرفة اسمك وإخبارك باسمي.

الفتاة وهي تضحك بخجل: اسمي ميليسا، تعني باليونانية نحلة العسل، وأنت؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

داني: اسمي داني ولا أعلم ماذا يعني، لكني أعلم أن من سماك هذا الاسم وُفِّق وأصاب..

ضحكت ميليسا بخجل مرة أخرى ثم أشارت إليه بالانصراف سريعًا حتى لا يلاحظ أحد، فالحراس فقط اتجهوا لنيل وجباتهم وسيعودون ليتناولوها بأماكنهم العادية..

داني: حسنًا حسنًا سأذهب، لكن ليس قبل أن تعطيني وعدًا بأنك من سيتسلّم مني ما أحمله إلى هذه الغرفة دومًا حتى تتسنى لي فرصة اختلاس الكلام معك أحيانًا.

اضطربت الفتاة قليلاً لكنها وافقت في النهاية، وأعطته الوجبة التي تحملها قائلة: تلك هي وجبتك كنت ذاهبة لأضعها أمامك..

ابتسم داني وأخذ منها الوجبة وحاول لمس يدها على أن يبدو الأمر عفويًا لكن الفتاة سحبت يدها بسرعة وعادت للغرفة، فحمل وجبته وعاد هو الآخر إلى أماكن تناول الطعام..

بعد التهام الوجبات النيئة - التي أصبحت كما لو أنها طلبات غذاء من أفخم وأرقى المطاعم في بلادهم - التي تقوي أبدانهم على العمل الشاق، نالوا قسطًا من الراحة ثم عادوا إلى العمل لكن بحزم أكبر فرضه عليهم رجال الجبل المتابعون للأعمال بهذا التراخي في فترة العمل الأولى..

بالمناسبة، العمل هنا هو كل شيء، العمل هو الذي يقدمون على أساسه الطعام إلى أسراهم، حتى إنك تجد وجبات العاملين بالحفر والتكسير هي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأكبر، تليها وجبات قطاع لحوم الحيوانات وكاسري عظامها، وبالأخير تجد وجبة الثلاثي الشاب الذي ينقل الماء أو اللحوم فحسب، تلك هي الطريقة العادلة التي توزع بها الوجبات للأسرى، وهي نفس الطريقة التي توزع بها نفس أنواع الوجبات لرجال الجبل أنفسهم، وما هو أبعد من تقسيم الوجبات في الدلالة على أهمية العمل هنا، هو أنهم لا يعرفون الأيام والساعات والأسابيع كوحدات للوقت لكن يعرفون العمل، اليوم في عالمنا يوازي فترتين للعمل في عالمهم، ساعات الليل في عالمنا هي فترة الراحة من العمل في عالمهم، ولماذا يعطوك الفرصة لترتاح من العمل؟ لتعود بعد ذلك وتكمله بنفس درجة الدقة ووتيرة الإنجاز.

إن دققت النظر في هذا العالم، ستجد مبادئه مماثلة تمامًا لمبادئنا، أو لنقل مبادئنا المعلنة، الفرق أن هذه المبادئ عندنا تطبق وفق التطابق مع هوانا، يعاقب من نجد مصلحتنا في معاقبته، ويكافئ من تسعدنا مكافئته، أما هنا فهي معمول بها، معمول بها والجميع سواسية تحت حكم القانون الذي وضع للجبل، لا حكم قائد العمل، لا حكم الملك، لا حكم رجال الدين ولا غيرهم، بل إن العامل يستطيع اللجوء إلى الملك شاكيًا من قائده في العمل، فإن وجد في القانون ما هو لصالح موقف العامل طبق على القائد العقاب الذي يستحق، وإن لم يوجد، طبق على العامل العقاب الذي يستحق، والعكس صحيح بالنسبة لإمكانية الحدوث، ولعل ما يساعد على تطبيق ذلك هنا، هو أنهم لا يعرفون الكذب، الشاكي أو المشكو، يرونه وصمة عار على جبينهم كرجال وتراه النساء قلة للحياء اللائي فُطِرن عليه، لكن كيف

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لنساء لا يغطى من أجسادهن سوى القليل بالقليل من القماش يحافظن على حيائهن؟ الإجابة هي أن شهوة الجسد هنا محددة بمساحة لا تخرج إلى سواها، باليوم الذي تزوجت به هذه تتقرض إناث الجبل في نظرك ولا يبقى منهن سواها، والعكس صحيح، أما بالنسبة لمن لم يتزوج أو تتزوج فالجميع هنا إخوة وأخوات، إلى أن يحين ذلك الموعد المقدس، لا ينظر الرجل لما ليس له، يحترم عرض أخيه الذي يحترم عرضه، ولا تتنازل المرأة عن حيائها، وتقدس زوجها الذي لا يرى سواها، لم يصلوا إلى الأديان، لم يعيشوا وسط الحضارات المتقدمة ولم تصلهم الكتب، لم يعرفوا الكلام حتى، لكنها الفطرة التي وضعها الخالق في قلوبهم، ولم يدنسوها بل تركوها تسير بهم وتنير الظلمات في خفايا الجبل وساروا وراءها، هذا المجتمع يوزع حقوقه بحذاقة، فلا يريد منظمات ذكورية تطالب بحق غير مشروع للزوج على زوجته، ولا نسوية تسب الرجال وكل ما يتصل بهم..

وبقدر اختلاف الطريقة التي يسير بها هذا العالم عن عالمنا، فإن المفاهيم تختلف أيضًا، فاللفظ «ملك» - في عالمنا - الذي يدل على مالك القوة والسلطة أو مالك الأرض والجنود أو صاحب الأموال والنفوذ أو من بيده كل ذلك، يختلف هنا كثيرًا، الملك هنا هو من يملك قلوب الناس لا القوة والبطش، من يملك التأييد والثقة، من يملك الاحترام لنفسه ولشعبه، من يملك قلبًا سليمًا يريد به الحفاظ على من اختاروه لهذه المكانة والأصلح لهم، وبهذا فإنه يمتلك السلطة الأسمى والقوة الأعظم، فبدل أن يستخرج منهم قوتهم المطلوبة لحكمه رغمًا عنهم، فهم يقدمونها له عن محبة واقتناع، وبدل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أن يسلك الطرق الطويلة ليؤكد لهم سلطته ونفوذه وينال تأييدهم المزعوم، ببث الرعب في قلوبهم، فإنه يستمد سلطته من إيمانهم التام بسلامة نفسه ونقاء سريرته وأنهم هم همه الأكبر وأن النافع لهم هو غرضه الأسمى..

تلك هي المعاني والمبادئ السامية التي وضعت في قلوب الخلق من قبل الخالق، وهي التي فتشنا عنها طويلاً في ذواتنا حتى توصلنا لها، فسطرناها بسطور عريضة في دساتير ليحكم بها العالم، ثم حدنا عن هذه السطور العريضة وأصبحنا ندير العالم بما هو بينها، بالهوامش السطحية السخيفة، التي تبقينا أقوياء اليوم، والغد، وبعد الغد، وإلى مدى غير معلوم لكنه ليس طويلاً، ويتناسب طوله تناسبًا طرديًا مع مقدار الخراب الذي سيعم العالم أجمع عندما تنهار كل أبنيتنا التي أسسناها فوق أعمدة ورقية القوة وجوفاء المبدأ..

العالم هنا هو عالم بدائي النشأة محدود الإمكانيات، لكنه عالم سليم البذرة ومحمود الأخلاق..

***

حينما كان العمال يستعدون لإنهاء فترة عملهم الثانية لهذا اليوم، سمعوا أصواتًا غريبة كأنها صادرة من النفخ في آلات تصدر أصواتًا شديدة الإزعاج بدلًا من أن يسمعوا أصوات التصفيق المعتادة التي تنهي فترات العمل، لم يعلموا دلالة ما يسمعون لكنهم شعروا بالقلق لتبدل ملامح قائديهم بالعمل ثم هرعوا وراءهم نحو الساحة المستديرة ليعلموا ما هو الأمر، هناك

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كان أغلب رجال الجبل يقفون بنظرات حائرة وحزينة وبترقب مصحوب بالقلق، والبقية منهم تأتي مهرولة وتشاركهم نفس الأمر، الملك جالس على كرسيه رافعًا رأسه إلى الأعلى، والنساء يقفن على الجوانب، يغطين أعينهن أحيانًا وينظرن في أحيان أخرى إلى صندوق خشبي وضع أمام الملك بمسافة ويطوف حوله رجال الدين وهم ينظرون لأعلى..

راسيل ورفاقه لا يزالون غير مستوعبين ما يحدث، البعض ظن أن هناك طقوس تقام هنا في هذا الوقت من كل عام لكن ظنه كان ضعيفًا لما رآه من قلق على وجه رجال الجبل فور إصدار الصوت الذي تجمعوا على إثره، والبعض ظن أن هناك متوفى مثلاً وتلك هي مراسم الموت هنا، والبعض الآخر ومنهم الطبيب لم يسلم رأسه لأي اعتقادات حيث أنه دائمًا ما يخطئ في ذلك هنا وهو الأمر الطبيعي بمكان أو عالم جديد لا تعرف عن طقوسه ومفرداته مقدار نقطة في محيط واسع..

بعد دقائق من تلك النظرات الشاحبة بين الرجال وكأن كل واحد منهم يتفقد معارفه من حوله، توقف طواف رجال الدين وتراجعوا بظهورهم إلى مقاعدهم دون أن يديروا أنفسهم ويعطوا ظهورهم للصندوق، بل ظلت أعينهم معلقة به وعادوا بخطوات حذرة إلى أماكنهم ثم جلسوا، وهنا وقف الملك وفور وقوفه اتجه جميع رجال ونساء الجبل برؤوسهم نحو الشق الذي كان راسيل قد سقط منه، وكأنه طقس محفوظ المراسم..

بعد بضعة دقائق أخرى ضرب الملك بمطرقته - والتي يستخدمها دائمًا لجذب انتباه شعبه أو إخبارهم باتخاذ خطوة جديدة فلا تدل على العنف

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما ظن راسيل ورفاقه - ضربة خفيفة جدًا تكاد تصدر صوتًا مسموعًا، فالتفت إليه الجميع بقلوب وجلة، ثم تقدم الملك بخطوات بطيئة نحو الرجال الذين بدأ بعضهم في تغطية الأعين والبعض الآخر في ذرف الدموع والقليل منهم في النظر إلى الأعلى والتي تبدو طريقة الدعاء والمناجاة في هذا المكان، في هذه اللحظة تأكد راسيل أن ما يحدث هنا ما هو إلا مراسيم تقديم قربان إلى الآلهة التي يعبدها رجال الجبل، ولابد أن هذا القربان سيكون - للأسف - أحد رجال الجبل، لذا قلق الجميع فور صدور الصوت وتسقط قلوبهم الآن في اللحظة التي يتقدم بها الملك للاختيار من بينهم، من سيكون القربان القادم، أمهر الرجال في العمل أم أقوى الجنود في القتال، أدق الحراس في حراسته أم أوسم الأسرى شكلاً، لابد أنهم - مثلهم مثل الجميع - يختارون قرابينهم للآلهة بعناية حتى تحل بركتها عليهم كما يظنون، لكن لماذا لا يتم الاختيار من بين النساء؟ بوادر التمييز الجنسي أضحت تظهر لراسيل عكس ما كان يظنه في هذا الشعب الجبلي، كما أن توابع البدائية قد تسلب راسيل أو أحد الرجال حياته لإحياء طقس يؤمن به أهل الجبل، لعن راسيل كل ذلك في قرارة نفسه وتملكه الرعب حينما اقترب الملك منه، الملك تجاوز كل الصفوف ووصل للصف الأخير من الرجال الذي لا يقف خلفهم سوى الحراس، ثم بعد ذلك تخت الخطوات الطولية جانبًا وحل محلها خطوات عرضية قطعها الملك بقدميه تجاه راسيل الذي تقطعت أنفاسه وتراخت قدماه حتى كاد أن يسقط مع خطوات الملك، بعد ذلك وقف الملك واعتدل ليصبح وجهه مواجهًا لوجه لراسيل ولا يفصل بينهما سوى ما يتسع لموضع قدم أصغر الأطفال في الجبل، حتى أن راسيل يشعر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بلهيب أنفاس الملك يكاد يحرق وجهه كما لو أنه يقف أمام تنين أسطوري، مد الملك يده تجاه راسيل شاحب اللون خائر القوى لكنها تجاوزت راسيل لتحط على كتف الحارس نيكولاس الذي كان ماثلاً خلف راسيل..

في هذه اللحظة بدأ راسيل في التقاط أنفاسه واستعادة عافيته بعدما أوشك قلبه على الانفجار من هول ما شعر به وفظاعة ما تخيله حينما سيختاره الملك، أما الآن فمهما كانت البشاعة التي سيراها فهو مجرد رائي، لن تحدث له بعدما نجا منها بأعجوبة، لكن المحزن والأشد ألمًا أن القربان المقدم للآلهة هو صديقهم الوحيد في هذا المكان والشخص الوحيد الذي يمكنهم التحدث معه هنا، كان نيكولاس بمثابة المعلم الذي التقط الأطفال بأيامهم الأولى في المدرسة الابتدائية وهدأ من روعهم وكفكف من دمعهم وبدأ يطلعهم على خبايا المدرسة وطرق الحصول على العلامات الكاملة بها، هذا ما فعله نيكولاس تمامًا مع راسيل ورفاقه منذ اليوم الذي تحدث معهم فيه إلى الآن، لولاه لهلكوا لارتكابهم الحماقات، أو لساد هلعهم لفترات أطول وأطول وعظمت وحشتهم، ولولاه ما كان داني ليبيت بسعادة غامرة بالأمس، ولولا أنيسهم الوحيد نيكولا لاختلفت أمور عدة بشكل كبير..

تقدم الحارس الذي خلع خوذته وأسقطها من يده دون وعي أو مبالاة، أو تشعر أنها سقطت منه دون علمه وإرادته، مشى المكلوم نيكولا نحو الصندوق والناس ينظرون إليه نظرات الوداع إلى أن وصل إلى الحافة الخشبية للصندوق ونظر فيه بإمعان ثم سقط على ركبتيه والدموع تجري على خديه كالنهر في مجراه..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لم يصدر أي كلمة ولم تسمع له صوتًا سوى أصوات البكاء الحارق، وعلى الصعيد الآخر لم يتوقف رجال ونساء الجبل عن البكاء ومعهم الأسرى جميعًا بما فيهم الطبيب وباتريك التي سالت دموعهم الرقيقة برفق على خديهما بعدما حاولا جاهدين حبسها..

لكن ما حدث بعد ذلك خفف من هول الموقف على الأسرى بمقدار كبير لكنه لم يخفف من ذلك على الحارس أو أي من سكان الجبل بقدر ضئيل حتى، إذ أن الحارس مد يده إلى داخل الصندوق ليرفع جسد أخته ويحتضنها بقوة كادت تقطع من جسد أخته شرائح لحم صغيرة بين أصابعه، عندها تيقن راسيل ومن معه - حيث أن خيالهم وصل إلى ما وصل له راسيل - أنه لا قرابين ولا شعائر دينية والنتيجة الأهم من كل ذلك، أن الحارس لن يموت الليلة، الحارس سيظل مع راسيل ورفاقه ليساعدهم على تقبل حياتهم هنا، لكن يا ترى من سيضمد جراح الحارس الذي فقد أخته هنا ويجعله يتقبل الحياة من دونها حتى لو كان يراها على أحيان متقطعة ولا يسعد بعيشها بهذه الطريقة في الجبل؟ تخيل راسيل أن فقد من يعرفهم كباتريك أو الطبيب أو أليكس أو حتى داني، ولم يتخيل وهو قد عاش هذا الشعور الذي أسال دموعه ودموع رفاقه حينما ظن أنه سيفقد الحارس الليلة، في الأخير كف الأسرى عن البكاء وبقي الحارس يحتضن أخته وسط احترام وتقدير لمشاعره من جميع سكان الجبل بما فيهم الملك الذين ظلوا صامتين يراقبونه ويشاطرونه الحزن والعويل..

بعدما مر وقت طويل حاول الملك رفع جسد الحارس عن أخته التي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يحتضنها بشدة جعلت الملك الجبلي يخاف من أن يتأذى جسدها الذي يعد أمانة الخالق لديهم بعدما فاضت روح الفتاة إلى بارئها، استخدم الملك كل قواه وهو يسحب نيكولاس عن جسد أخته حتى إن الأجساد الثلاثة بدت كالملتصقة للعَيان، لكن بعد عدة محاولات نجح الملك في إيقاف الحارس ثم احتضنه بقوة واتجه للصندوق الخشبي أو الذي أصبح تابوتًا الآن وأغلقه، أما الحارس فقد أعطى ظهره لجسد أخته في تابوتها واستعاد قوته ورزانته وأخذ يحدث نفسه ليقتنع بأن ذلك هو الأفضل لأخته بعدما عانت كثيرًا في هذا الوضع الصعب، كالأب الذي ينهنه طفله عن البكاء بمحاولة إقناعه بأسباب تسكن آلامه أو تبدد حزنه..

على أية حال استكان بكاء الحارس ووقف لإكمال المراسم التي انتهت سريعًا بأخذ الجسد لمواراته بالتراب في أحد الأماكن المخصصة لذلك بالجبل، بعد ذلك همّ الجمع بالانصراف لكن الملك استخدم مطرقته مرة أخرى ليبقى الناس في أماكنهم يشاهدون الملك الذي جاء بصندوق آخر صغير الحجم فظنوا أن هناك من وافته المنية هو الآخر، لكن الملك أتى برضيعه الذي جاء إلى الدنيا حديثًا وأشار بعض الإشارات ورفعه في السماء بكلتا يديه وسار وهو يحمله بين الصفوف حتى أصبح آخر الواقفين ثم توجه بنظره إلى الشق الذي يفصلهم عما أسفله طريقًا ليس طويلاً، ليصطف الناس وراءه جميعًا رافعين رؤوسهم لأعلى، لعل ذلك من مراسم الموت بالإشارة إلى أحدث المولودين عندما يموت أحد الموجودين، لكن راسيل لم يطل هذا الوقوف هو وصحبته بعدما شاهدوا بعض الناس ينصرفون بحريتهم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والبعض الآخر مستمر في التضرع خلف الملك ومولوده المحمول عاليًا، فبمجرد أن رأوا - راسيل وأصحابه - الحارس وهو يتجه نحو الكوخ اتجهوا وراءه لتعزيته..

لكنهم عندما وصلوا إلى كوخهم لم يجدوا الحارس واقفًا أمامه، بل وجدوه بالداخل يستلقي في مكان راسيل، لكن دون دموع أو نحيب، نظر إليهم بثبات فتناوبوا على تقديم واجب التعزية بهدوء شديد، كان الحارس هو من يتحدث لأغلب الوقت، حدثهم عن أخته التي دللها قدر ما استطاع بعدما فقدا والديهما وهي في سن صغيرة، كيف كانت كل ما لديه وكل ما يعتني به في هذه الحياة، وكيف كان يقضي ساعات حراسته الليلية وراحته النهارية وهو يفكر في الأعباء التي تتحملها هنا لكونها فتاة مدللة لم تتعرض لمثل ذلك قط، ورغم ذلك يجدها راضية كلما سمحوا له بزيارتها، وكيف سيقضي في هذا العالم ليلة واحدة من دونها؟

بعد ذلك انتقل للحديث عن اختلاط مشاعره تجاه أهل الجبل الذين أسروهم وفرضوا عليهم هذه الحياة، وفي نفس الوقت لكونهم قد صانوا عرض أخته ولم يتخذوها كجارية أو سبية يتناوب رجال الجبل على النيل من جسدها، هم لا يعرفون معنى الجواري تقريبًا من الأساس لكنهم بشكل أو بآخر السبب في كل ما حدث..

حاول راسيل، الطبيب، الكابتن وأليكس التخفيف من مصاب الحارس الذي أجابهم بكونه راضيًا عما حدث، على الأقل لن تمر بلحظات صعبة وعصيبة ثانية، ولن يمضي الساعات والساعات يفكر فيما سيحدث لها إن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فقد حياته وتركها وحيدة هنا، بالتأكيد لا يستطيع أن يمنع نفسه من الحزن الذي يعصر قلبه لفقدانه توأم روحه لا عمره، لكنه ذلك الحزن القنوع الذي تمر به وأنت تعلم أن الخير فيه لمن تحبهم حتى وإن تجرعت مر الفراق..

بعدما شعر رفاق الكوخ بالرضا الكائن في كلام الحارس تشجعوا أكثر على إخراجه مما هو فيه بخطوات تدريجية بدأت بزيادة إقناعه بأن ذلك هو الأفضل لأخته المسكينة، وصلت في آخرها إلى قص بعض المواقف الطريفة التي تعرضوا لها في حياتهم في الجبل وقبل الجبل، واستطاعوا بالكاد رسم البسمة على شفتيه وأكثر من فعل ذلك كان باتريك..

بعد ذلك انتقلوا للحديث عن المفارقة في المشاعر بين كونهم أسرى يجب عليهم العمل دون موافقتهم وبين احترام أهل الجبل للمشاعر الإنسانية في مثل هذه المواقف، وفي خضم هذا الموضوع سأل راسيل سؤالاً موجهًا للحارس كالعادة قائلاً: لكن لماذا رفع الملك طفله للأعلى ووقفوا خلفه كل ذلك الوقت ومن الممكن أن يكونوا ما زالوا ماثلين هناك في أماكنهم إلى الآن؟ هل هي إشارة إلى أصغر المولودين بعدما توفت أختك؟

الحارس بعدما عاد إليه صوته الهادئ الخشوع: لا لا، ليس الأمر كذلك، بل فعل الملك ذلك لأن ابنه مريض جدًا لدرجة تقربه من الموت، لذا أشار إلى الصندوق الخشبي الصغير، فكان يتضرع وخلفه شعبه طالبين الحياة للصغير، هذه هي الطقوس عندما يشتد المرض بأحدهم هنا خصوصًا لو كانوا أطفالاً..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شعر الجميع بالأسف حيال الرضيع لكن الطبيب تدخل قائلاً: نيكولا، إلى أين يؤخذ ما يجده أهل الجبل من بقايا الأغراض والأشياء التي يجدونها في وسط حطام الطائرات؟

الحارس: ما يجيدون استخدامه يتم استخدامه على الفور دون تخزين كإسفنج المقاعد والمواد الغذائية وهذا الحطام المعدني، وما لا يعرفون استخدامه يحاولون إيجاد منفعة له، وإن تعذر عليهم ذلك يتم تخزينه في غرفة ما هنا، لمَ هذا السؤال في ذلك الوقت؟

الطبيب: اسمع، عندما سقطنا كانت حقيبتي معي لحسن الحظ، حتى الكتاب الذي كنت أحوذه ظل موجوداً بالحقيبة وأعطيته لراسيل، إن استطعت إخراج هذه الحقيبة من الغرفة وأتيتني بها قد أستطيع شفاء طفل الملك إن كان مرضه مألوفًا..

الكابتن: لكن كيف سيعرض ذلك على الملك؟ هل سيخبرهم أنه يتحدث معنا؟؟

الحارس: لا عليك من هذا الأمر، سأخبره أنني مرضت ذات ليلة وداواني الطبيب وسأضمن الطبيب بنفسي، هم يثقون بي.. دعني أحاول إيجاد الحقيبة ومن ثم أقنع الملك وأعود إليكم..

أليكس: ولكن أهذا الوقت مناسب لذلك؟ استرح مما أنت فيه والأيام كثيرة..

الحارس وهو يقوم ليغادر: لن ينتظرنا المرض للغد..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال باتريك بإعجاب ولكنة درامية: بوركت يا نيكولا..

التفت نيكولاس الذي وصل إلى باب الكوخ قائلاً: لطالما كنت أرى التبجيل للأطباء في بلدي دون أن أعي بمحدودية عقلي السبب، ففي الغالب يؤجرون على ذلك، الآن عرفت السبب، لقد بوركنا جميعًا بوجوده بيننا، ليتهم جميعًا مثله..

قال نيكولا هذه الكلمات ثم خرج ليحاول محاولته في سبيل إنقاذ الرضيع بعد سويعات أو دقائق من فقدانه لأخته، هذه هي المعاني السامية الفطرية للحياة بقلوبنا..

لم يمر وقت طويل حتى سمع أهل الكوخ أصوات النفخ بالآلات مرة أخرى ليخرجوا مذعورين، ترى أي كارثة أخرى حدثت هذه الليلة الحافلة بالأحداث؟

لكن مقابلة نيكولا لهم وبيده حقيبة الطبيب طمأنتهم جدًا، التقط الطبيب حقيبته بسرعة وفتش بين أغراضه - المتبقية منها بعدما سقط الكثير أثناء النقل - وأخبرهم أن أغلب ما تبقى في الحقيبة فقد صلاحيته بالعمل به، وفي هذه اللحظة كان الحارس يخبرهم عن سبب استدعاء الملك للسكان مجددًا - بعدما استفهموا عنه جميعًا - قائلاً: لقد صدقني فيما يخص الطبيب، لكن لماذا ذلك لا أعلم، فوجئت مثلكم وأنا في طريقي إليكم..

عاد الجميع إلى الساحة مرة أخرى ليجدوا الملك واقفًا أمام كرسيه على غير عادته ويحمل مولوده بيده ويهم في رسم رموزه على لوحته مسرعًا دون

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

روية وهدوء كما اعتادوا، رسم الملك الكثير من الرموز ومسحها ورسم غيرها وهكذا، وسكان الجبل يتابعون باهتمام، ثم تقدم إلى نيكولا ففهم الحارس ما يريده ملكه واتجه إلى الطبيب ثم أخذه نحو الملك، بعد ذلك مسح الملك الرموز وكتب غيرها ونظر إلى الناس، أدرك داني أنها كانت نفس الرموز التي رسمها حينما طلب من شعبه آراءهم حول زواجه من الفتاة التي يحبها، هو يحفظ الرموز التي رسمت يومها عن ظهر قلب، وفي غضون ثوان كل رجال ونساء الجبل بلا استثناء صوتوا بنفس الاختيار، الجميع صفق وهي دلالة الموافقة، لكن الموافقة على ماذا؟ لابد أنها الموافقة على ترك الفرصة للطبيب الأسير لمعالجة رضيعهم..

هم طبعًا لا يعرفون الطب كما نعرفه وتقتصر العلاجات عندهم على البتر أو الماء على الجروح وبعض البدائيات بغض النظر عن صحتها أم لا من الأساس، الأمر كان غريبًا بالنسبة لهم لكن لابد أن الملك شرح لهم أن فرصة رضيعه في النجاة تكمن في محاولة هذا الأسير معالجته، لكن هل يستشير الشعب فيما يخص نجله؟ كونه ملك لا يعطي الحق للسكان في تحديد مصير اختياره لابنه؟ هل هناك أمر آخر؟؟

في هذه اللحظات بعدما وافق جميع الجبليون على ما رسمه الملك، توجه الملك بحنكته نحو الطبيب محاولاً إيصال المعنى الذي وصل لشعبه لذلك الرجل الذي سوف يحاول معالجة نجله، فأشار إلى الطبيب ثم أشار إلى نجله، وبعد ذلك أشار إلى أحد الأطفال الذي كان على كتف والدته وبصحة جيدة، ففهم الطبيب بسرعة أنه يطلب منه محاولة معالجة طفله

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لترتد إليه صحته ويعود كباقي الأطفال المعافين، أومأ الطبيب برأسه ليشير بأنه فهم ما يرمي إليه الملك لكن دون أن يفهم لماذا يشير الملك بذلك؟ هو من عرض معالجة الطفل من الأساس فلِم يطلب منه الملك ذلك؟ وبينما هو يتسارع في طرح الأسئلة على نفسه تحت أنظار رفاقه وباقي الأسرى والجبليين المتابعين، أشار الملك اتجاه الشق الذي سقطوا منه..

حاول الطبيب تمالك أعصابه وهو لا يريد أن يصدق ما تبادر في عقله بأن الملك يعرض عليه إطلاق سراحه مقابل شفاء نجله، فإن كانت ظنونه خاطئة فستكون تعاسة خيبة الآمال شديدة جدًا..

Telegram:@mbooks90

أشار فويث بلهفة بيديه الاثنين وهو يحركهما نحو الشق - كالذي يشير بالهرولة أو الجري - وهو ينظر إلى الملك، فبدوره أومأ الملك برأسه ليؤكد للطبيب ظنونه، فنظر الطبيب للحارس - الذي كان لا يزال خالعًا خوذته - فابتسم الحارس وأتى دوره في الإيماء برأسه ليقطع الطبيب شكوكه باليقين التام ويبلع ريقه بصعوبة ويزفر بعدها زفرة قوية تدل على التحدي، ثم مد يده للملك الذي صافحه على الفور، وأشار بيده لانتهاء الجمع ليعود الجميع إلى أماكن نومهم بينما اصطحب الملك فويث إلى غرفته ليأخذ فرصته كاملة في مداواة الرضيع الذي تضربه الحمى بشدة وهو ما فهمه الطبيب بمجرد أن لمسه..

الجزاء من جنس العمل، هذا ما يتجسد في موقف الطبيب الذي أدى رسالته دون أي دوافع خفية أو أفكار في مكافآت، فقط ينفذ قسمه الطبي الذي التزم به لسنوات عدة، فقسم الطبيب كمعطفه الأبيض لابد وألا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يتلوث أبدًا، والجزاء الذي لا يتوقعه كان أبعد من كل خيالاته هو وأصحابه، تُعرَضُ عليه النجاة، تُعطى إليه الحياة مرة أخرى بعدما سلبت منه!

فقط إن نجح في إعادة الطفل إلى صحته..

بالكوخ كان الرفاق - ما عدا الطبيب ومعهم الحارس وداني - يتسامرون حول هذه الأحداث السينمائية التي رأوها، الجميع سعيد للطبيب بنفس سمحة لكن لا تمنعها سماحتها من تمني كونهم بمكانه، والجميع أيضًا قلق بشأن الطبيب ما إن أخفق في معالجة الطفل فسيفقد الفرصة بعدما أتيحت له، كالذي ضل طريقه في الصحراء وظل يمشي لأيام دون قطرة ماء، حتى لاح له بالأفق بئر فهرع إليه بما تبقى من طاقته ليجده مردومًا بالرمال!

لكن الكابتن باتريك كان قلقًا بما هو أهم - كما يدّعي - من الحالة النفسية للطبيب حال فشله، وعندما سألوه عما يقلقه أجابهم: هذا الملك عرض مكافأة على فويث لم يطلبها، مكافأة هي الأغلى على كل منا وهي الأصعب عليهم، فقد يرشد الطبيب إلى مكانهم إن خرج من هنا، وهذا حدث دون أن يطلب فويث أية مكافآت من الأساس!

داني: لا أرى مشكلة إلى الآن!!

الكابتن: على قدر كرم الجزاء ستكون قسوة العقاب، في رأيي إن فشل فويث قد يسلبوه حياته..

تنبه الجميع إلى هذه النقطة التي ساقها إليهم باتريك وسط السعادة لتعكر صفوهم، وشاركوه القلق حيالها، وما زاد من قلقهم هو أن الحارس لم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يتكفل بالطمأنة كعادته، بل شاركهم القلق..

قطع الصمت الخائف راسيل وهو يقول: كنت أشعر بالحزن تحسباً لفقدان الطبيب رغم أنه سينال حريته، بماذا سأشعر إن قتلوه وهو يحاول مساعدتهم؟؟

الحارس: دعنا نفترض الأفضل، الطبيب يبدو عليه أنه مخضرم وحكيم، سينجح وينجو من هنا، وقد يفتح لكم ذلك أبواب الخير فيقرر الملك الإعفاء عن رفاق الطبيب عمومًا أو رفاق كوخه خصوصًا في أسبوع عيدهم الذي اقترب وقته..

راسيل: أنت تعلم وجميعنا يعلم أنك تقول ذلك للتهدئة ليس أكثر، لن يمنوا علينا بأي..

توقف راسيل عن إكمال حديثه عندما سمع أصوات نقر على جدران الكوخ من الخارج بقوة، أشار لهم الحارس بالصمت وملازمة الكوخ مهما استدعى الأمر وخرج ليرى ما بالخارج، وفور خروجه سمعوا أصوات دق قوية كتلك التي يحدثها حجر الملك عندما يكتب به على لوحته، لكن بصوت أعلى وأعلى، قد يكون ذلك نقاشًا حاميًا بين الحارس وأحد سكان الجبال بالخارج أو أحد مساعدي الملك حول ثقته بالطبيب لهذا الحد مثلاً، اللوحات التي تستخدم للكتابة مثبتة في كل بقاع الجبل لتسهيل رسم الرموز والأحجار الكاتبة يسهل إيجادها ولذلك فإن هذا الاحتمال غير مستبعد بل احتمال قريب جدًا، لكن بعد ذلك حدثت جلبة قوية وتحولت الأصوات

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إلى أصوات ارتطام المطارق بالأجساد والأحجار وأصوات تأوهات من أثر هذه الضربات!!

هم أليكس للخروج ليرى ماذا يحدث بالخارج لكن الكابتن باتريك سحبه من يده ومنعه من ذلك بذكاء، ثم همس في آذان الثلاثي الشاب أنه لا ينبغي إظهار التعاطف والاهتمام بالحارس حتى لا ينكشف أمر تحدثه معهم..

بالخارج كان الشجار داميًا وعنيفًا بين نيكولاس والحارس الذي يحرس كوخ داني، هذا الحارس لاحظ اختفاء نيكولاس من أمام الكوخ الذي يحرسه ووجوده بداخله كثيرًا، ووجود داني بنفس الكوخ أوقات عدة قبل النوم لكنها بأيام تحوي أحداثًا كالزواج والوفاة فلم يعطِ للأمر اهتمامًا كبيرًا؛ ربما يجلس مع رفاقه ليشعروا بالأمن بوجودهم سويًا لفترة ما، لكنه لاحظ أيضًا نظرات داني وراسيل لنيكولاس عندما كان داني يتقدم بطلب الزواج إلى الملك، وما عزز شكوكه هو أن الحارس نيكولاس كان وسيطًا بين الطبيب والملك!

لسوء الحظ كان هذا الحارس - الذي يحرس كوخ داني - ليس أسيرًا كنيكولاس، بل كان من رجال الجبل، لذلك تقدم قليلاً نحو الكوخ وسمع بعض الكلمات فاستدعى نيكولاس إلى الخارج ليتحدثوا بالرموز حديثًا عنيفًا تطور بهم إلى قتال دامٍ بالمطارق، وبطريقة أو بأخرى نال كل منهما من الثاني ضربات عنيفة على الأظهر والصدور والرؤوس! سقط الرجلان أرضًا، نيكولاس إلى جانب خوذته التي تدمرت وبرأسه جروح غائرة وبالكاد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يلتقط أنفاسه، والحارس الآخر إلى جانبه وخنجر صغير - كان نيكولاس يضعه بجانبه دائمًا - مثبت في صدره ويبدو أنه فقد حياته في الحال..

بعدما هدأ الصوت لفترة ليست بقليلة خرج راسيل بخطوات هادئة ليرى ماذا حدث ليجد الحارسين على هيئتهما هذه فتقدم بسرعة نحو نيكولاس وهو مفزوع ليجد صديقه يخرج أنفاسه الأخيرة وهو يقول بصوت متقطع أنهكه الإعياء: ألم أقل لكم لا أستطيع العيش لليلة واحدة دون أختي، بالتوفيق يا صديقي الصغير للنجاة من هنا..

Telegram:@mbooks90

كانت هذه الكلمات الأخيرة للحارس نيكولاس، وراسيل يجثو أمامه دون أن يلمسه، وقبل أن يستوعب راسيل ما حدث وجد الكثير من الجنود يركضون قادمين من بعيد جدًا فدخل إلى الكوخ مسرعًا وحينما سأله أصدقاؤه عما حدث لم يتوقف عن البكاء ولم يستطع النطق والجميع ينظرون إلى بعضهم البعض في ذهول وينتظرون ما سيقوله راسيل لكنه لم يتوقف عن البكاء ولم يقل سوى: سيأخذونني، سيتهمونني في ذلك..

وقبل أن ينطق أي من رفاقه للاستفهام عن ذلك دخل جنديان للكوخ ونظروا إلى راسيل، الكابتن، أليكس وداني.. يبدو أنهم لاحظوا راسيل من بعيد لكن دون تحديد هويته، وهنا قام الكابتن دون حتى أن يدرك ما التهمة التي يلاحقون عليها أحدهم، وسلم نفسه للجنود بهدوء بدلاً من راسيل، معرضًا نفسه للموت لإنقاذ حياة الصبي للمرة الثالثة تقريبًا..

لم يفق راسيل من كابوس نيكولاس لينتقل لكابوس الجنود وتضحية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

باتريك ولم يهدأ عقله ليفكر ويستقبل تلك الكوارث حتى سمعوا نفير الجنود مرة أخرى ليطلب الملك اجتماع سكان الجبل وأسراه للمرة الثالثة في هذا اليوم..

خرج أليكس وداني ومعهم راسيل يتكئ عليهم وكأنهم يسحبانه، بالطريق مروا على جثث الحارسين وحولهما الكثير من الجنود والحراس ففهم الشابان ما رآه صاحبهما وهو ما فهمه الكابتن سلفًا عندما خرج به الجنود..

ثمة حارس من حراس باقي الأكواخ كان هناك وشاهد المشاجرة التي قتل فيها الحارسان بعضهما، فهرول إلى الجنود ليأتي بهم وهم من شاهدوا راسيل يجثو فوق جثة الحارس من بعيد، لحسن حظ راسيل، أو لنقل باتريك الذي ضحى بنفسه عوضًا عنه دون أن يدري الجريمة أصلاً، أن هذا الذي بلغ عن الأمر كان قد شاهد قتل الحارسين لبعضهما، لذلك فإن باتريك سيكون بريئًا من اتهام القتل، لكن بعد بعض الإشارات والرموز من الملك ورسامه على اللوحة الخاصة بالكتابة وعلى الجدار خلف كرسي الملك، اتضح للجميع أن التهمة الموجهة لباتريك هي محاولة سرقة ملابس الحارس ليلبسها ويحل محله..

وبوسط الساحة التي شهدت اجتماع كل الأنفاس الحية في باطن الجبل - إلا الطبيب ومولود الملك - شيع الجميع جثمان نيكولاس وجثمان الحارس الآخر، ليدفن نيكولاس إلى جانب أخته في الليلة التي فقدت فيها، وتتحقق كلماته حينما أقسم بأنه لا يستطيع الحياة بدونها لليلة وحيدة، وفور الانتهاء من هذه المراسم الحزينة - التي خفت وطأتها على نفس راسيل ورفيقيه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لتعلقهم بمصير الحي منهم وهو باتريك الآن أعلن الملك الحكم الذي تقره قوانين الجبل على فعل باتريك، وهو قطع يديه الاثنتين من المرفق..

الأحداث سريعة بالطريقة التي جعلت أليكس وداني يشعران وكأنهما شخصيتان بداخل فيلم سينمائي لا تتناسب مدة عرضه مع كم الأحداث التي تكونه، أما راسيل فكان في عالم آخر، كان يفضل الموت على أن يرى ما حدث في هذه الساعة التي مضت، نيكولاس قتل بسبب مساعدته لهم، باتريك سيفقد يديه جراء جريمة لم يقم بها، ولم يتواجد حتى في الموضع الذي ينسب إليه التهمة، بل كان راسيل، لكنه اختار ذلك بكامل إرادته، ولهذا فعندما تنتقل بناظريك إلى باتريك تجده جامد الملامح صامدًا ورأسه مرفوع بشموخ وهو يقف بين الجنود الذين كبلوا يديه وانتظروا حكم ملكهم، الآن فإن الحكم قد صدر وبدأ الجنود في اتخاذ مواضعهم لتثبيت باتريك على حجر وضع على مسافة من كرسي الملك ليتم قطع يديه من المرفق، بدأ الجنود في استخدام القوة مع باتريك لتحريكه باتجاه الحجر تحسبًا لمقاومته - كما يفعل الجميع في موقفه - لكنهم اكتشفوا ألا حاجة لذلك على الإطلاق، الكابتن يسير معهم بهدوء نحو الحجر لتنفيذ العقوبة التي لا يستحقها هو ولا حتى راسيل الذي تسبب في خلق التهمة من الأساس، كلاهما لم يفعل شيئًا، لكن الكابتن كان رجلًا ذي مبادئ، هذا الساخر الذي لا يكف عن المزاح، تجده أول المتقدمين بالتضحية عن غيره إن لزم الأمر، فكما سقط هنا للمرة الأولى حينما حاول إنقاذ حياة راسيل، وكما سقط بالطائرة على الجبل ليتشارك الجميع المصيبة رغم كونه قادر على إصدار الأمر لبيدرو

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الذي لن يتوانى في إلقاء العمال من المروحية لينجو الكابتن مع من تبقى بالمروحية، الآن هو يضحي بنفسه من أجل شاب لا يملك لنفسه أي شيء، هو الآخر لا يملك من أمره شيئًا لكن لعله فعل ذلك لكي يرد له القدر جميله ويكون رحيمًا بأطفاله الذين لا يعلمون مكانه ولا يعلم هو إن كان سيراهم ثانية أم لا، لا يعلم أحد من رجال الجبل أو نسائه أو حتى الأسرى فيما عدا رفاق كوخ راسيل بأن باتريك كان يزج بنفسه ليفي بدين غيره، دائمًا ما تزخر حياتنا بهؤلاء الأبطال المجهولين كما تضج بالأبطال الورقيين، جثى الكابتن على ركبتيه، وهنا خطرت إليه فكرة لم تستغرق منه وقتًا كبيرًا لينوي القيام بها، عندما ينحون جسده جانبًا ويجذبون ذراعه فقط ليضعوها على الحجر ثم يقومون بتنفيذ الحكم، سيكمل انصياعه التام لهم لكي يتراخوا قليلاً في قبضتهم عليه، وفور التنفيذ سيتحرك بكل ما يمتلك من قوة باتجاه الحجر لتكون الضربة قاطعة لحبل لحياته كلها لا ليده فقط، بهذا سيرتاح من هذه المعاناة الجسدية والنفسية التي لا يتحدث عنها إلى أحد، يمزح ويسخر ويرقص فقط ليزوغ من عقله ويخمد ثورة أفكاره عن أطفاله وزوجته وباقي أهله، المزاح والسخرية ساعدوه في ذلك فعلاً، أما الرقص فقد ساعده في شيء آخر لم يتوقعه قط، ففي اللحظة التي كان الجندي يقف إلى جوار باتريك الذي مد ذراعه على الحجر منتظرًا إشارة الملك، كان الملك يستطلع رأي سكان الجبل في الاستفتاء، والغالبية رفعوا أيديهم، أي عارضوا الحكم!!

كان أغلبهم من الرجال الذين شاركهم باتريك الرقص في يوم الزفاف وانخرط وسطهم وشعروا أنه واحد منهم يفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكان منهم قائده في العمل الذي لم يشتكِ منه قط، كما كانت هناك بعض النساء المتعاطفات بطبيعتهن مع من سيلقى جزاء كهذا بعد أن عاش بين أهل الجبل دون أن يثير أزمة واحدة، ويبدو أن الملك كان سعيدًا بهذا الرفض من سكانه، كان يخشى في قرارته أن يقطع يد الكابتن دون أن يكون متأكدًا من نواياه، فالجريمة تقتصر على مشاهدة بعض الجنود له من بعيد، لكن لا سبيل ليتواصل معهم الكابتن ويدافع عن نفسه، كما أنه كان يخشى ألا يوفق الرجل الذي يحاول معالجة رضيعه -والإشارة هنا إلى فويث- إن كان الملك ظالمًا في حكمه، لكن لمَ أصدر هذا الحكم من البداية طالما أنه لا يركن إليه؟ الإجابة لأنها القوانين هنا ولا يحق للملك تحريفها وفقًا لهواه..

اجتمع الملك بقادته فورًا للوصول لقرار بحكم آخر على الكابتن لعرضه على السكان واستطلاع آرائهم مرة أخرى، تشعر هنا أن وظيفة الملك هي استفتاء شعبه فيما يريدون وتنظيم أمورهم قدر استطاعته ليس أكثر، وبعد وقت قصير أمل فيه راسيل ورفاقه بحكم أخف على الكابتن باتريك الذي كان لا يزال جاثيًا على ركبتيه لكن محتفظًا بذراعه بعيدًا عن الحجر، رسم الملك بعض الرموز على لوحه ومسحها ورسم غيرها وهكذا، إلى أن وصل لرموز الاستفتاء، فصفق الغالبية العظمى من الحضور أي أنهم أيدوا هذا الحكم الجديد، لكن لا يزال الكابتن وباقي الأسرى لا يعلمون ما الحكم..

نظر داني من بعيد تجاه ميليسا لمحاولة تقدير شدة الحكم من تعابيرها فوجدها تنظر إليه من قبلها، وبذكاء أو باتصال شعوري فهمت أنه يريد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الاطمئنان فأومأت برأسها أي لا تقلق، استكان داني قليلاً للمعنى الذي فهمه وتمنى لو كان صحيحًا..

في الحال تم استدعاء الرسام صاحب الحزام الريشي الجميل وأزال الستار عن الجدار واستخدم عصاه الطويلة ليشير إلى بعض الرسوم، في البداية أشار إلى رسم لمجموعة من الجنود يحملون أدوات حربية، ظن هنا باتريك أنه سيبارز أحدهم والقاتل سيعيش، لكن الرسام أكمل ليشير إلى رسم لحيوان يركض، بعدها التفت الرسام إلى باتريك وأشار إليه بعصاه ثم قطع بعض خطوات وأشار إلى فرقة من الجنود تقف بعيدًا، وبعدها عاد إلى الجدار وعاود الإشارة للحيوان الذي يركض مرة أخرى، عندما نظر الكابتن إلى فرقة الجنود التي أشار لها الرسام راع انتباهه نقوش لنسور على الأساور التي يرتدونها، وتذكر حديثهم مع نيكولاس عندما أخبرهم بأن هذه الفرقة هي التي تهبط من على الجبل وتذهب إلى الغابة التي تبعد عنه بقليل لاصطياد الحيوانات التي يتغذون عليها، هنا أيقن باتريك - كما كان الحال بالنسبة لرفاقه - أن عقوبته هي الذهاب مع جنود الصيد لجولة، الحكم يبدو فرصة للحياة بذراعين كاملين في خارجه لكن بداخل طياته قد تجد أكثر من فرصة لئلا يعيش الكابتن أصلاً، رجل غير مسلح وحتى إن تم تسليحه لا يعرف كيفية استخدام هذه الرماح التي يصطادون بها سيذهب رفقة فرقة من الجنود إلى غابة لا يعلم ماهية الحيوانات الموجودة بها، بنسبة كبيرة جدًا قد يفقد حياته أو على الأقل ما هو أكثر من ذراعيه داخل هذه الغابة، بل إنه من الممكن ألا يصل لهذا المكان أصلاً، فقد يسقط من أعلى الجبل أثناء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نزوله مع هذه الفرقة المتمرسة في أداء مثل هذا الأمر..

كان الصيد هنا لا يتم إلا في أوقات محددة، في غسق الليل يهبط النسور بعضهم برماح وظيفتهم الصيد وبعضهم يحمل على ظهره ما هو أشبه بالحقائب لكنها مصنوعة من الأقمشة وبداخلها أحجار قليلة واللحوم التي تستخدم كطعم للحيوانات، ووظيفتها هي إشعال النيران للإضاءة وسط الغابة وحمل الحيوانات التي تم اصطيادها بطريق العودة، وعندما تبدأ الظلمة في التلاشي يعودون مسرعين إلى الجبل حتى ولو لم يصطادوا أية فريسة، تلك هي القواعد هنا حتى لا يقبض عليهم، هم يملكون الليل، يعرفون بحذاقة كيفية التصرف في الظلام ببعض الضوء المستمد من بعض شعلات النيران، من مئات السنين وهم بارعون في الشيء ذاته، هذا ما يرجح كفتهم، لكن حينما يتلاشى الظلام، سيفقدون ميزتهم وستتساوى كفتا الميزان، فإن تواجهوا مع أحد البشر ساكني العالم الآخر فقد يسهل القبض عليهم أو ملاحقتهم والتوصل إلى مخبأهم، وهو ما لا يحمد عقباه فيتجنبونه بكل ما أوتوا من قوة، هذه هي القوانين الصارمة التي تحميهم، لكنها لا تحمي الكابتن باتريك الذي حين علم أنهم سيتحركون في التو واللحظة لأداء رحلتهم قبل ذهاب سواد الليل، شعر بالذعر حيال ذلك، كيف سيهبط على هذا الجبل وكيف سيتدبر أمره بداخل الغابة في هذا الظلام، ظل يطرح على نفسه الأسئلة إلى أن قاطع خياله الجنود وهم يقودونه لحمله بالحبال إلى أعلى الجبل، وهو ما شاهده رفاقه والجمع من سكان الجبل قبل التفرق والعودة ليقضوا ما تبقى من هذا اليوم في النوم كي يقووا على العمل بالغد، عاد راسيل إلى كوخه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الذي أصبح خاليًا من الطبيب والكابتن وأصبح بابه يحرس بواسطة حارس آخر غير صديقه الذي رقد في سلام إلى جوار جسد أخته، هو وأليكس فقط لا غير، وبمجرد دخوله للكوخ ظل الفتى يبكي من أثر كل ما قاساه من أحداث في هذه الليلة حتى غلبه النوم فسقط إلى جوار أليكس الذي كان قد نام هو الآخر بعدما أيقن أنهما لن يستطيعا التحدث مرة أخرى بحرية لوجود حارس آخر على الباب بداية من هذه الليلة..

بطريقة أو بأخرى نجح باتريك بمساعدة بعض الجنود المتعاطفين معه في الهبوط أسفل الجبل في هذا الظلام الدامس، لا حرج أنه مر ببعض السقطات والاصطدامات ابتلته ببعض الكدمات والجروح لكنها أكسبته كثيرًا من الحذر جعل هبوطه بمساعدة الجنود أمرًا ناجحًا، الكابتن بدأ يزداد أمله في أن يظل على قيد الحياة بعد هذه الليلة، وأقنع نفسه أنه أيًا كان الذي سيصيبه هذه الليلة، لن يكون أسوأ من موته الذي كان سيقدم عليه بنفسه أمام كرسي الملك منذ بعض الوقت، فقط قد تختلف طريقة هذا الموت، جرى باتريك خلف الجنود وبذل مجهودًا كبيرًا ليركض بنفس سرعة هؤلاء الشباب اليافعين، خلفه كان جنديان وإلى جانبه جنديان جميعهم موكلون بمراقبته، لكن ما هو دوره في الصيد؟ سيكون المساعدة، سيُطلب منه جر الحيوانات التي تم اصطيادها ومساعدتهم في حملها وما إلى ذلك، أخيرًا وصلوا إلى الغابة الصغيرة في مساحتها والوفيرة في حيواناتها، كانت السلاسل الجبلية الممتدة تفصل بين عدة غابات إلى يمينها والشاطئ بعد مساحة من الجفاف إلى يسارها، وبذلك فإن هذه الغابات كبيوتهم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الجبلية، اعتادوا عليها وحفظوها، وتنقلوا بينها كما تنقلوا بين الجبال بحثًا عن ينابيع المياه، دخل باتريك بوسط الجنود بحذر شديد وبدأوا في إشعال النيران البسيطة لاصطياد أي حيوان لديه بعض اللحم فوق عظمه بهذه الغابة، وهنا بدأ الجزء الأخطر في رحلة باتريك..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(10)

على الجانب الآخر كان الطبيب قد نجح في الحد من حمى الطفل وإخفاض درجة حرارته بوقت قياسي، كان الأمر أشبه بالإعجاز بالنسبة للملك وزوجته، لكنه كان طبيعياً فيما يخص فويث الطبيب المحنك الذي واجه مئات الحالات مثل هذه، ومن حسن حظه أن حالة الطفل كانت غير معقدة ودائمة الحدوث فيما بين الأطفال دون عواقب وخيمة، حمل الطبيب الطفل ليضعه على كتف والده الذي لاحظ الفرق في درجة الحرارة، وابتسم للطبيب بوافر الشكر والعرفان، لكن الطبيب بعدما اطمأن على حياة الطفل فكان بكل تأكيد ينتظر الإفراج عنه من هذا الأسر، لا ينتظر الابتسامات من الملك وزوجه، وفي الحال بدأ الملك في الإشارات لولده وللطبيب محاولاً إيصال جملة ما، وصلت للطبيب على الفور وهي أن الملك يعده بإطلاق سراحه بالغد إن ظل الطفل على قيد الحياة، وأعطاه الإذن ليعود إلى كوخه، لكن الطبيب أشار بيديه بما يدل على أنه يريد المكوث مع الطفل إلى الغد، فلديه بعض العمل ليكمله كي تنخفض الحرارة إلى الحد الطبيعي بالضبط وهو ما قوبل بالترحاب من الملك الذي صرف زوجته للمبيت مع أي من نساء الجبل غير المتزوجات وترك الطبيب يباشر عمله وجلس إلى جواره..

***

في اليوم التالي عاد الجميع إلى العمل وكأن شيئًا لم يكن بالأمس، لم يرَ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أحدهم باتريك ولم يعرفوا ما مصيره، ولم يرَ أحدهم الطبيب ولم يعرفوا مصيره هو الآخر، وبالتأكيد لا حق للاعتراض أو للطلب خاصة بعد توتر الأجواء بفقدان حارسَين في شجار وإصدار حكم على أحد الأسرى وعلة ابن الملك الذي يحاول أحد الأسرى معالجتها، لكن العمل هو صاحب اليد العليا في هذا الجبل وسارَ بانسيابية كما يسير كل يوم، إلى أن يجتمع الملك بسكان الجبل بعد تناول وجبة الطعام ليختار قادة الجنود حارسين جدد من بين سكان الجبل لكوخ راسيل وكوخ داني، فإنه قد تقرر إرسال الحارسين اللذين يقفان على غرفة إعداد الطعام من الخلف ليحلا محل المقتولين، مهمة مؤقتة تدوم لموعد تناول الطعام واجتماع الملك برجاله..

لكن هذه المهمة كانت على هوى داني الذي طلب من حبيبته ميليسا أن تستقبل منه أوعية الطعام والمياه لاختلاس الحديث خفية من وراء الحراس، وبعد أن أصبح مكان اللقاء لتبادل الأوعية المملوءة بالفارغة بينهما خال من الحراس، فإن الحديث سيزداد ولن يكون خلسة، وهو ما فعله داني بالضبط، بمجرد الوصول إلى هناك عاد خطوتين إلى الوراء لتفهم ميليسا أنه يريدها أن تخرج من الغرفة، وبخفة خرجت ميليسا دون أن تراها أي النساء المشغولات بالعمل في الداخل، هنا كان داني جاهم الوجه ويتصبب عرقًا من جبينه، بدا وكأن هناك أمرًا خطيرًا وازدادت دقات قلب ميليسا عن المعتاد، تحولت الدقات من زيادة الرومانسية لزيادة الاضطراب والقلق، بادرها داني بالحديث الذي بدا مرتبًا ومنسقًا وتم إعداده بإتقان من قبله قائلاً: أخبرني نيكولا قبل موته أن فترة الأعياد هنا اقتربت، وأخبرني راسيل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أنهم لا يخرجون من الجبل في هذه الأعياد، أي الخبرين صحيح؟

في البداية - وببرودة أعصاب نسائية طبيعية - سألته عن هوية الشخصين اللذين تحدث عنهما فأجابها بضجر وسرعة وكرر عليها السؤال فأجابته قائلة: كلا الخبرين صحيحان، لا يخرجون لبضعة أيام حتى ينقضي عيدهم وتبدأ فترة الأعياد عندهم من بعد الغد..

داني: حسنًا حسنًا، اسمعي ما سأقوله بتركيز شديد، سنهرب أثناء العيد من هنا..

احمر وجه ميليسا وازداد خفقان قلبها وبدت مضطربة ومنزعجة جدًا حتى استجمعت قواها وسألت: نهرب؟ كيف؟؟ هل تعرف صعوبة ذلك؟ بل استحالته!! وهل تعلم نتيجة الإخفاق فيه؟

داني: لا تقلقي، لقد أعددت خطة محكمة وبما..

قبل أن يكمل قاطعته ميليسا قائلة: هذا جنون وإقدام على الانتحار، على الأقل هنا سنتزوج ونحافظ على أرواحنا ونحظى ببعض الوقت الممتع قبل أن نموت، لكن بما تقوله سنموت في الحال، هل رأيتهم وهم يسحبون صديقك بالحبال؟ لا أحد يستطيع التسلق سوى الجنود..

داني: لا، طالما يستطيع الجنود التسلق، سيستطيع غيرهم التسلق، قضيت أوقات الاجتماع بالساحات كلها باختلاس الذهاب إلى أسفل الشق وكأنني أجلب أحجارًا لأجلس عليها، وحفظت تعرجات الجدار وبروزاته، أنا أعي ما سأفعل ومتأكد من نجاحي..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثارت ميليسا في وجه هذا الجنون الذي أغاظها بصوت كادت النساء تسمعه قائلة: لا أعلم من أين تستمد كل هذه الثقة، لكن فرضًا أن المستحيل سيصبح ممكنًا، سيكون ذلك فقط بالنسبة لك لا لي! لم أحفظ أي شيء وإن حفظتها ألف مرة لن أستطيع الخروج إطلاقًا سأقع مع أول بوصة فوق الأرض..

داني: بهدوء رجاء، ما هي طقوس الأعياد عندهم غير أنهم لا يخرجون من الجبل؟

ميليسا: لا شيء، الوقوف لمناجاة ما يعبدونه فقط، ويستريحون نهارًا مرتين ويعاودوا الوقوف إلى النوم، لكن لم يحدث قبل ذلك مثل ما تنوي فعله، هم لا يخرجون من الجبل طيلة المدة مهما كان السبب فعلاً، لكن إن كان السبب هو هروب أسير قد يرشد إلى مكانهم ويقضي عليهم عن بكرة أبيهم، فقد يقطعوا هذا الطقس..

داني: لا أظن، الناس هنا متمسكون بعاداتهم وطقوسهم جدًا مما رأيت..

ميليسا: تظن؟ تضع خطتك وفق ظنون؟؟

داني: ميليسا أنصتي إلي، هذه فرصتنا الوحيدة لنعيش كزوجين حقيقيين، أما الحياة هنا كالعبيد لن تجعل منا كذلك، لا متسع من الوقت لإقناعك لذا لا أستطيع الإكثار في الحديث أكثر من ذلك، في اليوم الثاني من فترة العيد، وبعد انقضاء فترة الراحة الأولى، فور وقوف ملكهم لمعاودة التضرع سأعد ثلاث أرقام وأركض إلى هناك وأخرج بسرعة، أنا معتاد على ذلك

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وماهر فيما أنوي فعله، فعلاً لم أجربه في هذا المكان لكن لطالما فعلت الكثير من الحركات البهلوانية السريعة بخفة ورشاقة، ثم إن الناس هنا متعاطفون معنا وإن فشلت قد تكون هناك فرصة للعيش مرة أخرى، قد أحاول الإشارة لرسوم جدارية أعلل بها المحاولة بأي شيء آخر، وجميع من هنا غير متعلمين أو متحضرين، سيسهل علي استمالة تعاطفهم بسهولة، أرجوك أن تثقي بي..

ميليسا بعد أن بدأت تهدأ: أراك تتحدث عن نفسك فقط..

أكمل داني بسرعة مستغلاً فرصة هدوئها قائلاً: سآخذ حبلاً من الموجودين أسفل الشق كالذي رفعوا به باتريك قبل أن أهم بالصعود، سأعلق طرفه ببنطالي، وفور صعودي سأسحب الحبل المتدلي إلى أقصى اليمين، لن يعيره أحدهم انتباهًا لوجود الكثير من الحبال، سأظهر لهم من أعلى لأجذب انتباههم، بالتأكيد سيكون الجميع أسفل الشق تحرك بعضهم ليلحق بي والبعض الآخر لمشاهدة ما يجري، حينها ستلتقطين الحبل وتمسكيه بقوة، وهنا سأسحبك للأعلى بسرعة في الوقت الذي ستجرين بقدمك على الجدار للإسراع في الخروج..

ميليسا: قد يفلت الحبل من يديك وأسقط أنا فتنجو أنت وأموت أنا هنا..

داني: أما عن الحبل ففور خروجي سأربطه حول حجر ضخم لضمان عدم سقوطه من يدي، والحبال هنا قوية، استطاعت سحب باتريك فلن تقطع، أما عن نجاتي بمفردي فلا قيمة لها بدونك، إن اتفقنا أن نهرب سويًا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ونجحت وحدي سأعود لأواجه نفس المصير معك..

ميليسا: بعدما تسحبني لن أظل مهملة، سأصبح محط أنظار المتكدسين بالقرب مني، سيحاولون إنزالي قبل أن أصل للخارج..

داني: عندما أسحبك لأول مرة ستكون بقوة شديدة ترفعك لمسافة مناسبة بمساعدة ركضك على الجدار، وبعدها من يحاول اللحاق بك سأقذفه بالأحجار التي تملأ الجبل من أعلاه، لا تقلقي سأجمعها قبل أن أظهر لهم وأشرع في سحبك..

ظلت ميليسا حائرة تفكر وغير قادرة على اتخاذ قرارها، لكن داني اعتراه القلق لإطالتهم في هذا الحديث وقد تنتبه النساء لميليسا، وإن حدث ذلك فلا داعي لتوصية النساء للوشاية ببعضهن البعض، لذا قال داني خاتمًا الحديث: ميليسا، أنا أحبك، يتبقى لنا يوم عمل واحد ثم تبدأ فترة العيد، سأراك الغد لتحسمي قرارك، هل اتفقنا؟

ميليسا التي بدت لداني تحت تأثير كلمة أحبك التي تسمعها للمرة الأولى: اتفقنا..

ثم بدّل كل منهما الأوعية وعاد ليباشر عمله..

ومن عجائب القدر أن أليكس وراسيل اللذين تناوبا على نقل الأوعية وشاهدا داني يتحدث لزوجته المستقبلية، قد دار بينهم نفس النقاش تقريبًا لكن لوقت أقل، كان أليكس يفكر فيما فكر به داني بالضبط، دون أن يتحدث أي منهما عن الأمر للآخر، بطريقة ما وضع أليكس خطة للهرب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأخبرها لراسيل بالحديث المتقطع المخفي أثناء الذهاب والجيئة ناقلين الأوعية، اختلفت الخطة في خطواتها وزمانها عن خطة داني، واختلف مصير الخطة أيضًا كذلك، حيث أن راسيل بمجرد سماعه لنية صديقه نهره وزجره ورفض رفضًا تامًا لينجح في النهاية في إزاحة الفكرة من رأس أليكس وهو يحمد خالقه على أنه استطاع حماية صديقه من موت محتمل، وهو ما قدره أليكس جدًا الذي شكر راسيل لإعادته إلى صوابه وأيّده في كلامه..

Telegram:@mbooks90

بانتهاء فترة العمل الأولى ذهب الجميع لتناول الطعام، وكانت هي المرة الوحيدة التي يتجهون فيها إلى الساحة المستديرة لتناول الطعام وفي بالهم ما هو أهم من الطعام، ببالهم باتريك وهل سيرونه، هل نجا أم مات، وما الخطوة الأخرى بعدما نجا، وفي بالهم الطبيب وهل نجح وسيودعهم، أم أخفق وسيودعهم أيضًا لكن بطريقة أخرى، أم سيبيت معهم بالكوخ؟! لا أحد يعلم، أما اختيار الحارسين فكان أقل الأحداث المنتظرة أهمية..

تناول الجميع الطعام بسرعة وانتظروا قدوم الملك الذي لم يتأخر وبصحبته الطبيب، انضم الطبيب للجمع وجلس إلى جوار راسيل الذي حاول أن يتبين نتيجة ما فعله مع الرضيع لكنهما لا يستطيعا التحدث طبعًا، لكن الأمور باتت جلية عندما وضع جنود الملك نفس الصندوق الخشبي الصغير الذي استعمله في المناجاة أمامه، أيقن راسيل ورفاقه أن الرضيع قد مات ونظروا إلى الطبيب الذي بدا غير آبه تمامًا، فهو كان يقدم رسالته وقسمه الذي حافظ على ألا يحنث به..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اعترى القلق قلوب الجميع وهم مترقبون لمصير الطبيب، وتحول القلق إلى رعب خفي حينما فتشوا بين جنبات الساحة بنظرهم فلم يجدوا لباتريك أثرًا، ولم ينفك هذا الرعب أن يصبح جليًا لا خفيًا حينما التقط الملك مطرقته وهو يقف إلى جوار الصندوق الخشبي، بات مصير الطبيب معروفًا الآن، وعلى الأرجح مات باتريك هو الآخر، يبدو أن عقد الرفاق بدأ ينفرط، وبدأ انفراط العقد بدرته المتمثلة في الحارس نيكولاس، وستتوالى الحبات الأخرى من بعده، بدءًا بالكابتن والطبيب، أقيم حبتين بالعقد..

الملك وبحركة سريعة رفع مطرقته ليحط بها بقوة فوق الصندوق الخشبي ليحطمه تمامًا، تفتحت الأعين والأفواه في ذهول وأخذ الجميع ينظر إلى بعضه البعض وإلى الطبيب الذي حافظ على لا مبالاته مندهشين مما يحدث ولا يجدون تفسيرًا، لكن التفسير لم يتأخر أبدًا حيث تقدمت زوجة الملك وهي تحمل رضيعها الذي يرفس بقدميه ويشد في خصلات شعرها الحريرية بيديه الصغيرتين ويبدو أنه بصحة جيدة تمامًا، فيلتقطه الملك منها ويرفعه لأعلى فيقفز الجميع فرحًا، أهل الجبل لشفاء رضيعهم والأسرى لانتصار طبيبهم، تبادل الأسرى العناق مع الطبيب الذي ظل يبتسم والدمع ينهمر من عينيه غير مصدق أنه بعد دقائق معدودة من انقضاء جلسة الملك بأهله سيكون خارج هذا الجبل سالكًا طريقه إلى الأسفل ثم إلى الشاطئ ليتدبر أمره..

اختلطت مشاعر راسيل وأليكس بين الفرحة لنجاة الطبيب من عواقب الفشل والحزن للفراق ولمكوثهما هنا بينما يعود الطبيب إلى بيته وأسرته..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لكن حركة غير اعتيادية جذبت الانتباه وبددت الرقص والعناق لبعض الوقت، الجنود يزيحون الناس للخلف قليلاً لآخر الساحة ويقومون بتشكيل دائرة واسعة بوسط الساحة مستخدمين الحجارة، بعدما كونوا دائرة حدودها الحجارة أتوا ببعض الأقفاص المعدنية التي تحوي النار بداخلها والتي رآها راسيل ورفاقه لأول مرة حينما قادوهم من أسفل الشق لكرسي الملك، ووضعوها فوق الحجارة التي تشكل الدائرة، بعد ذلك تراجع هؤلاء الجنود إلى الخلف ليطرق الملك بمطرقته طرقة قوية على الأرض فتتقدم فرقة النسور - التي رافقت باتريك للغابة - من أحد جنبات الساحة ليصلوا إلى منتصف الدائرة الحجرية من خلال إزاحة أحد الأحجار المكونة لحدودها، جميعهم مقيدون من أيديهم!!

وفي نفس الوقت فإن باتريك لم يظهر البتة، إذن فإن باتريك قد مات هذا لا ريب فيه، والملك يعاقب جنوده على تركه يموت..

فك وثاق قائد فرقة النسور وأمر بالخروج من الدائرة الحجرية ليمثل أمام الملك، كانت فرقة النسور قد عادت بالأمس فور تبدد الغسق وبرفقتهم حيوانات شهية لكن بدون الأسير الذي خرج معهم، الكابتن باتريك، وحينها احتجزهم قادة وجنود فرقتي الدببة والأسود إلى أن يتم استجوابهم في جلسة الملك بالغد..

ببعض الرموز طلب الملك من قائد فرقة النسور قميص باتريك الذي كان يرتديه ليتأكد من موته بفعل حيوان مفترس لا بخطأ من أحد الجنود، فهجوم الحيوان على القميص سيترك أثره الواضح، كما لو أنه والد يوسف

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يطلب من إخوته نفس الدليل، بالطبع الأسرى لا يفقهون أي شيء من الرموز وينتظرون أي دلالة تقودهم لما يستطيعون فهمه..

قائد النسور خطّ بعض الرموز للملك فأشار إليه الملك ليتقدم نحو الجدار، وهنا يراعي الملك ألا يكون الرد باستخدام الرموز فقط بل باستخدام الرسوم ليفهم الأسرى كيف كان مصير صاحبهم وهو حقهم، تقدم القائد وباستخدام عصا الرسام أشار إلى رسمة لرجل موثق الأيدي والأرجل ليدل على الأسير، بعد ذلك أشار إلى رسمة لأمواج البحر!!

ما هذا؟ كيف غرق باتريك؟ الغابة إلى جانب والبحر إلى الجانب الآخر!!

أراد راسيل أن يقوم وسط الجمع ويصرخ في وجه الملك، كيف هذا؟ ألا تعقلون ما يقال!!

لكنه بالتأكيد لا يقوى على ذلك وظل يشاهد ما يحدث عاجزًا وقلبه وقلوب رفاقه ينعون باتريك الفقيد الجديد، عاد قائد جنود النسور إلى الدائرة الحجرية ثم أشار الملك بعض الإشارات فقام بعد الجنود الآخرين بفك وثاق جميع أفراد فرقة النسور، وسلموا كل منهم مطرقة، ثم أغلقوا الدائرة بالحجر الناقص..

وفجأة، ضرب الملك بمطرقته إلى الأرض فأشعل النسور معركة بين بعضهم البعض!!

الأمر أصبح جنونيًا!! فرقة جنود الملك يقدمون على قتل بعضهم البعض

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بإشارته ومباركته، النساء لا يتوقفن عن الصراخ والبكاء والعويل كلما سقط قتيلاً من بين الفرقة إلى الأرض، فهذا زوج هذه وهذا والد تلك وذلك نجل هذه وهكذا!!

لم يدرك الأسرى ما يحدث كما لم يستوعبوا كيف مات باتريك، لكن راسيل استغل الأمر ليهمس إلى الطبيب بالمختصر المفيد ليعلمه بما حدث لنيكولاس وقصة باتريك من بدايتها، فهم الطبيب ما كان ينقصه ويداوي رضيع الملك بحجرته ليشارك الرجال الحزن على باتريك الذي فقد حياته بعد نيكولاس وأخته..

بعد صراع دامٍ ومعركة حامية الوطيس لم يتبق من فرقة النسور سوى رجلين، هلك الجميع بما فيهم القائد، فقط جنديان استطاعا البقاء بجروح غائرة متفرقة، لكنهما لم يقاتلا بعضهما البعض، بل امتثلا أمام الملك الذي أشار فأقبل بعض الجنود حاملين ملابس الحراس وفتحوا الدائرة الحجرية وسلموا الملابس للجنديين، يبدو أن جميع الطقوس والمراسم محفوظة هنا، فبمجرد الإشارة من الملك يشرع الجنود في الخطوة القادمة التي يحفظونها، إذن هكذا تم اختيار الحارسين الجدد للأكواخ من بين الجنود، لكن هل يستحق الأمر كل هذه الأرواح التي أُزهقت؟ وهل يستحق موت باتريك الذي كان محكومًا عليه بقطع يديه كل هذا العقاب؟ بعض القوانين هنا - كأي مكان آخر - مثيرة للريبة..

وبينما الجنود يقومون بإزالة الدائرة وأحجارها ويستعد الملك لإحياء مراسم الإفراج عن الطبيب بعدما تستعيد الساحة هيئتها ويعود الناس إلى أماكنهم،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اجتمع رجال الجبل ببعضهم البعض خارج الساحة، جميع رجال الجبل بالخارج في وقت إزالة الدائرة يحملون الأحجار الطباشيرية ولا يكفون عن رسم الرموز، بالنهاية أنهى الملك كل ذلك حينما طرق بمطرقته ليعود كل إلى مكانه لإحياء الحدث القادم، عاد الرجال إلى أماكنهم وجلسوا بها سوى فرد واحد..

تقدم هذا الفرد باتجاه الملك فاعترضه الجنود، لكن الملك أشار لهم فأفسحوا له الطريق، ثم خط هذا الرجل بعض الرموز على اللوح المثبت بالجانب، فور أن قرأ الملك هذه الرموز، قام من مكانه مسرعًا، مسحها وخط غيرها ثم نظر إلى الناس، فصفق البعض والبعض رفع يده، يبدو أنه استفتاء آخر، لكنه كان الأصعب بين كل الاستفتاءات، حيث تقاربت نسبة المعارضين والمؤيدين للقرار المطروح بشدة، لذلك أشار الملك إلى رجال ونساء الجبل إشارة ما فوقفوا جميعهم في مجموعتين، مجموعة تؤيد ومجموعة تعارض، وبهذا يسهل على الملك الإحصاء، وبعد دقائق تبين له أن من أيدوا القرار فاقوا من عارضوه عددًا، وهنا خلع الملك خوذته وقلادته الذهبية ووضعهم أعلى الكرسي وإلى جوارهم مطرقته، ثم تقدم بخطوات أنيقة هادئة نحو جمع الرجال الذي عاد ليجلس مكانه، وجلس القرفصاء في وسطهم!!

بعدها بدقائق وقف أحد رجال الدين وإلى يساره الرجل الذي تحدث للملك نيابة عن رجال الجبل وعن يمينه يقف قائد فرقة الأسود، خط القائد بعض الرموز فرفع رجلان من الرجال الجالسين أيديهم، أشار القائد إلى الرجلين فتقدما نحو كرسي الملك وأعطوا ظهورهم إلى الرجال، بعدها عاد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الرجل الذي تحدث إلى الملك إلى مكانه وعاد رجل الدين إلى مكانه، أما القائد فكتب رموزًا جديدة، بدأ بعدها رجال ونساء الجبال في التوجه إلى كرسي الملك والوقوف خلف أحد الرجلين وإعطاء ظهرهم للأسرى أيضًا، بعدما اجتمع كل أهل الجبل - بما فيهم الملك الذي خلع قلادته - في صفين طوليين خلف الرجلين، استدار الجميع لتصبح وجوههم في مواجهة الأسرى الجالسين يضربون كفًا على كف ولا يدرون ماذا يجري في هذا المكان المجنون، كان أحد الصفين يفوق الآخر طولاً بشكل ملحوظ، حينها التقط القائد مطرقة الملك وطرق بها طرقة فعاد الجميع إلى أماكنهم المعهودة إلا الرجل الذي ترأس الصف الأطول، حينها ألبسه القائد قلادة الملك وخوذته وأعطاه مطرقته وعاد إلى مكانه!!

لقد عزل أهل الجبل ملكهم لأنه أهان ذويهم من الجنود الذين كانوا تابعين لفرقة النسور، فإن كان القانون يحتم عليهم الموت فليموتوا بالطرق المعتادة، الذبح أو الرمي بالرمح، لكن أن يتم وضعهم في دائرة حجرية ليتنازعوا كالديكة حتى يموتوا جميعًا سوى فردين فكان أمرًا غير مقبول بالنسبة لهم، خاصة وأن الملك لم يأخذ رأي السكان في هذا القرار، فعندما تقدم أحد الرجال للملك وخط هذه الرموز استجاب الملك للطلب فورًا واستطلع آراء شعبه إن كانوا يريدون عزله، وهو ما تبين أغلبيته البسيطة، فترك الملك مقتنياته الملكية وعاد إلى صفوف الرجال وشارك في عملية الانتخاب بهدوء تام..

طبعًا لم يفهم الأسرى ما هي دوافع ما حدث ولِم كل ذلك، لكنهم رأوا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بأم أعينهم عزل الملك وتعيين غيره، لم تكن هذه مصيبة بالنسبة لهم فالأمر لن يتغير كثيرًا، لكن بالنسبة للطبيب فكانت بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير، طامة كبرى بعد أن فقد الملك الذي وعده بإطلاق سراحه منصبه قبل دقائق من تنفيذ وعده، الدموع التي ذرفها الطبيب للفرح أول الجلسة تبدلت لدموع حزن على باتريك ثم حسرة على ضياع فرصته رغم أهليته لها، ما هذا الحظ العاثر! ربت راسيل على كتف الطبيب وحاول التخفيف عن آلامه الجسيمة، فلا يوجد أسوأ من تحول آمالك المجسمة إلى رماد تذروه الرياح، الملعقة الذهبية الصغيرة التي تقدم العسل إلى فمك، تسقط فيه فجأة لتتسبب في اختناقك، كان الطبيب تأقلم على حياة الأسرى، حتى لاح له حلم الحرية فتمسك به، ثم سُلِبَه قبل دقائق من تحقيقه..

لم يجد راسيل وأليكس العزاء في بقاء الطبيب معهما، فرغم سعادتهما لذلك لكن ألم الطبيب النفسي كان فوق كل احتمال وأحزنهما حزنًا جسيمًا، قبل أن يعلن الملك الجديد الانصراف تقدم نحو الملك القديم الذي أصبح فردًا عاديًا يفترش الأرض إلى جوار فويث الذي يحبه بعدما أنقذ حياة رضيعه، مد الملك يده لملكه القديم فالتقطها بدوره وقام، ثم اصطحبا بعضهما البعض إلى الداخل ليتبادلا ملابسهما، عادل الملك الجديد بعدما اكتمل زيه وأوصل ملكه القديم إلى مكانه وسط الجلوس كناية عن الاحترام والعرفان لما قدمه، يبدو أن تلك كانت نهاية المراسم فتأهب الجميع للانصراف منتظرين طرقة الملك التي سيصدرها الآن، لكن عوضًا عن ذلك أشار الملك الجديد إلى الطبيب الذي فز واقفًا في التو واللحظة، نظر له الملك

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مليًا ثم أشار إلى جنوده الذين اتجهوا نحوه وبدون مراسم أو أي خطوات قادوه إلى أسفل الشق ورفعوه بالحبال إلى أعلى، ثم هبطوا وأشار الملك بالانصراف!!

لا وداع ولا عناق ولا بكاء، بل كانت كفكفة بكاء الطبيب، الأحداث
Telegram:@mbooks90
هنا أسرع من أن يتداركها عقلك، في لحظة كان الطبيب فاقد الأمل خائب الرجا، وفي لحظة صعد إلى أعلى ليهبط من على الجبل بوضح النهار ويسلك طريقه إلى الشاطئ ليتدبر أمره هناك عن طريق أي سفينة، ليس هذا فقط، بل هناك أسفل الشق أعطى الجنود للطبيب بعض الذهب لكي يساعده في العودة إلى عالمه، لا يعلمون كيف سيساعده لكنهم يعلمون أنه قيم في عالمه لذا سيساعده، لم يهابوا أن الطبيب سيخبر العالم عن مكانهم، وثقوا به، فببدائية المشاعر وفطرة القلوب، رأوا أن ذلك الذي عرض من نفسه شفاء الرضيع والحفاظ على روحه، لن يقدم أبدًا على فعل سيزهق أرواح الكثير منهم، وهو ما كان الطبيب ينوي ألا يفعله فعلاً، سيحترم حياة الناس الذين أعادوا إليه حياته..

في لحظات قليلة عاد الطبيب إلى الحياة، عاد يتنفس مرة أخرى، تضررت عيناه من الشمس التي ندر له رؤيتها بالأسفل لكنه كان الضرر الأحب إلى قلبه، ببعض السقطات وكثير من الزلات والجروح المتوسطة، استطاع الطبيب أن يسلك الطريق إلى أسفل الجبل، كان هذا الجبل من النوع الذي نحتت فيه الأمطار مجارٍ وطرقًا للأسفل، وبعدما ابتعد الطبيب عن الجبل قليلاً وبدأ في قطع المسافة إلى الشاطئ، انتهى الخطر كله وبدأت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رحلة عودته إلى بلاده كأول الناجين من هذا الجبل بالتاريخ..

أما هناك بعالم الجبل كان راسيل لا يزال يترجى عقله لكي يستوعب كل ما حدث، وصل إلى كوخه وهو يفكر بهذا الكم من الدراما الذي رآه ومر به، بين ليلة وضحاها فقد الحارس وفقد باتريك كختين، وفقد الطبيب كناج من الموت، في ليلة وضحاها تبدلت نومة الطبيب على الحجارة بصحبة رفاق الكوخ، إلى نومة منتظرة بعد أيام فوق صدر زوجته وفي أحضان أطفاله، رأى راسيل هذه الطريقة التي سينام بها فويث فور عودته إلى وطنه، رآها من كثرة تخيلها، كأنه يراها بعينه كما رأى ملك الجبل الجديد وهو يلتزم بوعد ملكه القديم للطبيب ويعتبر تنفيذه أول واجباته في الحكم..

تمنى لو أنه خرج مع الطبيب لينعم بحياته ويكتب رواية عن ما حدث له في باطن الجبل، لكن هل سيصدقها الناس؟ هو نفسه يعاني من تصديق بعض الأمور التي رآها بعينه هنا!

في اللحظات التي خلد فيها أليكس إلى النوم لكونه أيقن ألا سبيل للنجاة من هنا، وأن مصيرهم سيكون كمصير باتريك أو من توفى قبله، كان راسيل لا يزال يفكر في الطبيب الذي دخل تاريخ الجبل كأول ناج من الأسر، وباتريك الذي لاقى حتفه بطريقة مريعة ربما على يد حيوان مفترس أو على يد أحد الجنود أو بالسقوط من على الجبل بسبب أنه ضحى بنفسه بدلاً منه، وفي حياته التي فقدها، نيكولاس، فويث وباتريك هم من كانوا يرشدونه إلى ما يفعله هنا ويسلوا وحشته، بدون نيكولاس لن يستطيع تفسير ما بالجبل، وبدون باتريك لن يجد من يحميه ويرسم البسمة على شفتيه،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبدون الطبيب لن يجد الواعظ الحكيم الذي يهتم لأمره، فقد حياته وفقد المتبقي من السلوى قبل موته، وفقد أبناء باتريك أباهم بسببه، لربما إن لم يتورط في ذلك لنجا بطريقة ما مثلما حدث مع الطبيب، ظل راسيل هكذا طوال الليل، إلى أن اغلق عينيه وتخيل نفسه يلقي بخطبة ما بمكان ما لا يعلم كنهه لكن كل ما يعلمه أنه يخرج فيها الثقل على قلبه، فارتجل خطبته بداخله قائلاً..

«تمكنت من قلمي للحد الذي جعلني أعبر به عن نفسي وتمسني كلماته، ولم أتمكن منه للدرجة التي تلمسكم، فتركته..

أيقنت معنى الصداقة للحد الذي أكد لي أنني لا أمتلك أصدقاء، ولم يتملكني المعنى للحد الذي يبعدني عنهم، فعلقت في المنتصف..

توصلت لحقيقتي للدرجة التي أبصرتني عيوبي وزلاتي، ولم تُضح الحقيقة بالكمال الذي يجعلني أكرهها، فلم أغفر لنفسي ولم أغفر لكم..

ابتعدت عن خالقي للحد الذي أضعت به طريقي لذاتي، ولم أتجرأ عليه للدرجة التي جعلتني أتخلص من حياتي بيدي..

خضت تجارب بالكمّ الذي أكد لي اجتماعيتي، ولم أنجح في الحد الأدنى للخروج من عزلتي، فأصبحت اجتماعي الجسد، وحيد الروح، أو كما كان الوصف سابقًا، أكبر اجتماعي منعزل..

تركت التصنع واختيار الألفاظ وقواعد النحو والإملاء، مزقت أوراق وحدتي وأحرقتها بنيران علاقاتي كيلا يكون للعودة سبيل، وحبري الذي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خط آلاف السطور في الاكتفاء الذاتي.. سكبته في بحر كلماتكم المطمئنة.

وها أنا عُدت أجُر أذيال الخيبة، أبحث عن معتقداتي القديمة في أركان عقلي المنهك ولا أجدها، ألملم رماد أوراقي أملاً في استرجاع إيماني، ولكن عبثًا أصنع.

أتخذ من دمائي حبرًا لأصب بعضًا من هذياني لكم، فتمسني كلماته، ولا تلمسكم، كما بدأنا».

بعدما انتهى راسيل من هذه الخطبة الخيالية، لم يعلم كيف يلوم الطبيب على تركه له، هل كان من المنطقي أن يترك الطبيب فرصة نجاته ليعود ويقضي معه الوقت بباطن الجبل؟ وهل يستطيع أن يلقي اللوم على باتريك الذي مات أصلاً ليتركه حيًا؟

لم يعلم راسيل ما يفعله أصلاً وفيما يفكر، كان مضطربًا مشوش العقل، وما أراحه من كل هذا العبث والإرهاق، كان النوم كالعادة..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(11)

بالتأكيد لا جديد، اليوم هويوم كربوني آخر من العمل بالنسبة لراسيل وأليكس، مهما كنت مثقلاً بالهموم مهما كنت حزينًا، ستباشر عملك، العمل هنا كالتقاط أنفاسك، لا بديل عن إتمامه كي تظل على قيد الحياة..

أما بالنسبة لداني فالأمر كان مختلفًا، كان ينتظر رد حبيبته الناعمة بالموافقة على الهرب معه أو تركه ليهرب وحيدًا، هو اتخذ قراره بالهرب، ولكنه أرادها وبشدة، أما عن صديقيه فهو يرى أن الوضع أجبره على ألا يخبرهما، حيث لا سبيل للنجاة في خطته سوى له ولفرد آخر، وفضل أن يكون هذا الفرد هو ميليسا، لكن على كل حال حتى ولو أخبرهما بذلك فالشابان قررا عدم الخوض في غمار هذا الخبل بعدما عرضه أليكس وأقنعه راسيل بالإقلاع عن التفكير بهذا الجنون..

انتظر داني حبيبته التي لم تتأخر عليه، كما لم تطل عليه حيرته حيث قالت بلهجة سريعة فور قدومها: موافقة، لكن ننفذ الخطة بالغد..

بالتأكيد لم يسأل داني عن السبب فتكفيه موافقتها، واتفق معها على ذلك بابتسامة عريضة لم تنسه خوفه حيث سألها: أين الحارسين؟

ميليسا وهي تستدير لتغادر: الملك يجتمع بهم لإلقاء تعليمات جديدة، ثم التفتت برأسها قائلة: بالمناسبة، مبروك لنجاة صديقيك، لعلنا نكون أصحاب الدور القادم..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

واعتدلت لتغادر..

لكن داني جذبها من ذراعها وهو يسأل بدهشة: أي صديقين؟ فقط الطبيب الذي داوى الرضيع!!

لنعد قليلاً إلى الغابة، فور دخول باتريك رفقة الجنود إلى الغابة وإشعال النيران، كان الجنود الذين يحرسونه لا يزالون متخذين نفس الوضعية؛ اثنان بالخلف واثنان بالجانبين..

وظلوا يسيرون بهذه الطريقة، لكن وبشكل مفاجئ هجمت عليهم بعض الحيوانات من الخلف فتفرقوا جميعًا في آن واحد، هم الجنود بالبحث عن باتريك خوفًا من هربه أو موته، ولم يجدوه، لكن بعد بعض الوقت وبعدما أيقنوا بأنهم فقدوه وأخذوا يرتبون ما سيقومون بفعله لإيجاده، عاد إليهم باتريك مرة أخرى، أيقنوا حينها أنه لا ينوي الهرب أبدًا، هو يحتاجهم لحمايته من الموت بتلك الغابة التي يدخلها لأول مرة على عكسهم، وما أكد شعورهم ذلك هو أن غيابه ورجوعه تكرر كثيرًا، كما كان ينتقل بينهم بهمة ونشاط شديدين ليساعدهم في أيما كانوا يفعلون، لكن باتريك كان محتالاً ماكرًا، بعدما لاحظ باتريك تراخيهم معه حينما عاد أول مرة لخوفه فعلاً، كرر الغياب والرجوع مرة أخرى ليتأكد من أنه فهم شعورهم الصحيح، وفور تأكده من ذلك عقد النية على تكرار الأمر والمساعدة بهمة، حتى ينسوا أمره تمامًا، وهنا..

أين باتريك؟ لقد طالت غيبته هذه المرة، لا باتريك!!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اقتربت لحظة العودة فبحثوا عنه بكل شبر ولجوه داخل الغابة، ولا أثر، لابد أنه قتل..

عادوا مسرعين إلى بيوتهم قبل أن يبدأ الفجر، لا خرق للقوانين حتى إن فقدوا الأسير دون أن يأتوا بجثته أو حتى بقميصه للدلالة على موته، عاقبة ذلك يعلمونها تمامًا لكنهم مؤمنون بأن موتهم جزاء ذلك أهون من المخاطرة بانكشاف أمرهم وملاحقتهم إلى الجبل والقضاء على أسرهم وذويهم وسائر سكان الجبل من أجل الذهب..

لكن حين عاد الجنود إلى جبلهم وبدأوا في تسلقه، راع انتباههم هذا الأسير يجري هناك، بعيدًا جدًا عنهم، يركض في اتجاه البحر وظهره للجبل، ورغم أنهم رأوه لكن لم يكن هناك سبيلاً لملاحقته وإنقاذ أنفسهم من الموت، انتهى الميعاد وفات الأوان، وأصبح موتهم شيئًا مؤكدًا، فعادوا إلى الجبل يجرون خيبتهم لا فرائسهم فحسب، ليتم تقييدهم وتكتمل الأحداث بما شاهدناه..

طبعًا ميليسا لا تعرف كل هذه التفاصيل، كل ما تعرفه أن إشارة قائد النسور لرسم البحر كانت دليلاً على وصول باتريك إلى هناك، وأن الجزاء الذي تعرضوا له كان جزاء هروب الأسير وليس موته، كما أنها رأت الملك يطلب من قائد النسور قميص الأسير إن كان ميتًا، لكن القائد أشار بالنفي ووضح هربه..

أخبرت هذا لداني وطبعت على شفتيه قبلة ساخنة جدًا وهي تضغط

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بصدرها على صدره، ثم غادرت، وعاد الفتى إلى عمله مشتعلاً بنار الحب التي ستولد طاقة رهيبة لنجاته، كما أخبر راسيل وأليكس بخبر باتريك الذي أسرّهما جدًا، لكنه كان أكبر المسرورين بحبيبته وبهذا الالتزام بالقوانين الذي رآه في هروب باتريك، عادوا في وقتهم ولم يلاحقوه، فلابد أنهم لن يلاحقوه في عيدهم، كان يفكر في ذلك أثناء الساعات المتبقية من يومه، إلى أن خلد إلى النوم، ولعلها آخر ليلة ينامها هنا..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(12)

في اليوم التالي، لا عمل، فقط الاحتفال بأيام العيد، خرج الجميع بعد استيقاظهم على أصوات عذبة غير سابقاتها، وانضموا إلى الساحة، رجال الدين يطوفون جيئة وذهابًا من أسفل الشق إلى الساحة ومن الساحة إلى أسفل الشق، البعض يتضرع بطريقته والبعض يهنئ غيره بالعناق والقبلات البسيطة، الأزياء مختلفة والزخارف جميلة وبعض الرسوم ترسم على الجدران عن طريق الرسامين، الطعام موضوع بكثرة دون وجبات معينة من يريد أن يأخذ أي شيء بأي كم في أي وقت فهو قادر على ذلك، أيقظ رجال الجبل أسراهم في وقت مختلف من هذا اليوم، وكأنهم انتظروا حتى أعدوا الطعام ووضعوه وعلقوا الأقمشة الملونة ولبسوا كلهم الزي الواحد، الملك والجنود ورجال الدين والحراس والسكان، الجميع بنفس الألوان، لم يريدوا أن يرى أسراهم عيدهم ناقص المراسم، وكأنهم يطلعون وفدًا خارجيًا على تراثهم وشعائرهم التي يبتهجون بها..

Telegram:@mbooks90

تنقل الأسرى فيما بين الناس ليشاهدوا ما يحدث ويجدوا فيه بعض السلوى، إلى أن صدرت بعض الأصوات العذبة مرة أخرى لبدء التضرع..

اصطف الجميع وبدأوا في ذلك، كانت صفوف عرضية النساء إلى جانب الرجال والأطفال، الجنود بوسط السكان والحراس والملك لا مكان محدد له، فقط رجال الدين بالصف الأول والباقي خلفهم بطريقة عشوائية، وجهة الصفوف إلى الشق الذي يعبر عن تجلي الإله وظهورها لكرسي الملك الذي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يعبر عن الحياة، في رسالة دينية واضحة..

كان داني قد تبادل مع ميليسا قدرًا وفيرًا من النظرات، وبدا مضطربًا بعض الشيء لكنه حافظ على رباطة جأشه كي لا يهلك هو وحبيبته، لكن في خلال هذا الاصطفاف طرأ في باله تغيير مهم في خطته، في البداية تنازل عنه لأهمية إخبار ميليسا بالخطة مضبوطة، ثم بعدما فكر قليلاً وجد أن هذا التغيير لا قيمة له في خطوات تنفيذ ميليسا، كان يريد أن يتقدم الآن وسط اكتمال الصفوف، حيث ستكون خطوة غير متوقعة أبدًا أثناء هذا الوقوف المقدس الذي لا يحرك به المرء إصبعه حتى، كما أن الصف الأول من رجال الدين وهذا يضمن له بطء الوصول إليه، بالإضافة إلى أن ذلك قد يصيبهم بالاضطراب، فقد يشعرون بأنه من الإهانة لإلههم أن يتحركوا في هذا الوقت، فقد لا يلحق به أحد من الأساس، وعلى أي حال فإن ميليسا ستتحرك صوب الشق فقط بعدما يخرج، فلن يتغير شيء بخصوصها الآن..

في دقائق قليلة كان داني قد حسم قراره وانطلق بقوة دفع جبارة جعلته يرتكز في البداية على صدر زميليه راسيل وأليكس بالقوة التي أسقطتهما أرضًا قبل أن ينطلق إلى الأمام كانطلاق الزنبرك بعد انكماشه أو السهم من قوسه، تخطى داني صف رجال الدين بعدما طرح أحدهم أرضًا وركض سريعًا إلى الجدار، كان وحيدًا وبعيدًا عن الصفوف خلفه، تبدو خطته ستنجح، وهو ما شاهده أليكس حزينًا حيث رأى حلمه يتحقق على يد صديقه، وما إن وصل إلى هذه الطبقات الإسفنجية والتقط الحبل ليضعه ببنطاله وجد جنديين يخرجان من ورائها على حين غرة ويباغتانه بضربتين قاسيتين من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كل منهما بهراوته، إحداهما على ظهره والأخرى على رأسه، ليسقط داني قتيلاً في التو واللحظة..

الغريب بالأمر هو عدم تحرك أي جندي من مكانه في الصفوف، بالفعل الجنود يلبسون أزياء مشابهة للعامة في هذا اليوم، لكن أوجه الكثير منهم تظل مألوفة، لم يرتد ملابس الجنود أيا منهما سوى هذين اللذين أفسدا خطة داني قبل نجاحها بثوان معدودة وطرحوه قتيلاً..

يا له من حذر! جنديا فرقة الحجلان موكلان بحماية الجدار وقت الأعياد أيضًا؟ لم يذكر الحارس هذا ولم تذكره ميليسا أيضًا، لكن ربما لم يذكراه لأنهما لم يشاهدا مثل هذا الأمر من قبل، فلولا المحاولة للهرب لما ظهر الجنديان من الأساس..

لكن الأمر لم يكن كذلك، بل أن ميليسا محبوبة داني وزوجته المستقبلية استغلت فرصة اليوم الذي ترك لها للتفكير في الذهاب إلى قادة إحدى فرق الجنود، أخبرته بما ينوي داني فعله وذكرت أنه أخبرها بذلك عن طريق الرموز التي تعلمها، عاد القائد إلى ملكه واتفق مع ميليسا على منحها حريتها إن كان طرحها صحيحًا وهو ما طمحت به من الأساس، على عكس التقاليد وضع الملك هذين الجنديين خلف الطبقات الإسفنجية بشكل خفي ليصدا داني عن سبيله إن كانت مزاعم ميليسا حقيقية، وهو ما حدث بالفعل، بعدها عادوا بجسد داني لاستخدامه كطعم على الرماح لاصطياد الحيوانات، وجلس الملك على كرسيه لتتقدم إليه ميليسا ببسمة عريضة وهي تنتظر الإفراج عنها، كتب الملك رموزه على اللوحة بكثرة ويعود بمسحها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكتابة غيرها حتى أخبر شعبه بالقصة الكاملة بين ميليسا وداني، أما هناك فراسيل وأليكس لا يفهمان سوى أن صديقهما حاول الهرب وقُتل، حزن جديد اليوم، بعد ذلك أشار الملك لسكانه للتصويت، وتقدم جنديان وقيدا ميليسا بدلاً من إطلاق سراحها!!

أغلب المصوتين إن لم يكونوا كلهم قاموا بالتصفيق، قرار الملك تم تأييده، هل سيتم إطلاق سراح الفتاة المتآمرة على الشاب المقتول؟

Telegram:@mbooks90

لا، كان قرار الملك أنها ستبقى بالجبل وتحت حراسة مشددة بعدما يتم قطع إحدى يديها، لأن من تخون زوجها المستقبلي، لا يأمنون إرسالها الى خارج هذا الجبل فتخونَ كل من فيه وترشد على مكانهم، وهو ما تم التصويت عليه بالموافقة من الجميع..

وبهذا فقدت ميليسا زوجها المستقبلي وإنجاب أطفال وتكوين أسرة، وفقدت فرصة النجاة معه وفق خطته التي بدا لها أنها كانت ستسير بنجاح لولا الجنديان التي تسببت هي في وضعهما، بل فقدت حتى بقاءها في الجبل كما هي، ستبقى ولكن بيد واحدة، فقدت كل شيء لخيانتها..

وبينما كان الجميع ينظر إلى مراسم التحضير لقطع يد ميليسا، وهي نفس المراسم التي حدثت مع باتريك بالضبط، كان راسيل وأليكس في آخر الصفوف بعدما تقدم الجنديان الوحيدان في هذا اليوم من الخلف إلى الأمام بجسد داني ولتنفيذ حكم ملكهم على ميليسا، لا يعيان ما يحدث أصلاً، في هذه اللحظات همس أليكس في أذن راسيل: إنها فرصتنا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الوحيدة، الجميع منشغلون، اتبعني، صدقني سننجو..

لكن راسيل تأفف من تكرار أليكس لجنونه مرة أخرى، زجره وأشار إلى دماء داني التي تلطخ الأرض بعدما جروا جثته عليها، ليذكره بمصيره..

فهدأ أليكس لدقيقة واحدة، ثم ركض بكل قوته نحو الجدار، وبدأ في التسلق كالمجنون، والكل يركض باتجاهه حتى أسقطوا راسيل المذهول ودهسوه بأرجلهم بطريقة كادت تقتله لولا أن الملك القديم رفعه من على الأرض، نظر راسيل إلى الجدار ليرى مصير أليكس وهو محمول بين أيادي الناس أو مدهوس تحت أقدامهم، لكنه لم يجد هذا أو ذاك، لم يجد أثرًا لصديقه أصلاً، بل رأى الجميع ينظر إلى الأعلى، تقدم قليلاً ليجد أليكس يقف مذعورًا بالأعلى وكأنه لا يصدق نجاته، ينظر بذعر للناس بالأسفل وصدره يعلو ويهبط بقوة شديدة من هول الموقف، عيناه متفتحتان بذهول، زعم راسيل أنه سمع نبض قلب صديقه من أسفل الشق، ظل أليكس مذهولاً هكذا إلى أن باغته أحد الجنود برمح مر بجانبه على بعد ميليمترات، فأعاد إليه تركيزه ليهرب بعدما تأكد أنهم لن يلاحقوه، وهو يصيح: الوداع يا راسيل..

راسيل الذي كتب بيده أن يظل هنا عبدًا إلى آخر عمره، إلا إن حدثت معجزة تنتشله من ذلك دون أن يقدم هو عليها، فإن كان مكان باتريك فلن يقدم على ما فعله، ولما كان مكان داني وأليكس لم يؤيدهما فيما فعلاه، بل اختار البعد عن المخاطرة، والبقاء في باطن الجبل آمنا..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بهذه الطريقة نجا أليكس، وبنفس الطريقة ظل راسيل في الجبل ليعش عبدًا تحت إمرة قاطنيه، الأمر تطلب قرارًا واحدًا اتُخذ في جزء من الثانية، تمكن منه أليكس وداني وباتريك ولم يتمكن راسيل، فقط بسبب الخوف، لأنه كان خائفًا، ودائمًا ما كان، كان خائفًا حتى في اللحظة التي سلم فيها باتريك نفسه بدلاً منه، لم يكن شجاعًا ليعفي باتريك من ذلك ويقدم هو على تهمته، خوفًا من العاقبة، وما كانت العاقبة؟ أن باتريك حصل على فرصة تنجو به من هنا، تبدل العقاب إلى منحة، وتمسك بها وسلك دربه نحو وطنه..

الخوف - مثله كمثل - أي شيء في حياتنا مطلوب بكم محدد، هو صحي بكميته الطبيعية، لكنه مرضي عندما يزيد عن حده..

دخل راسيل كلية الصيدلة بسبب الخوف، فقدته أمه بسبب الخوف، قضى على مستقبل حياته بسبب الخوف، خسر رفاق بيدرو ألسنتهم بسبب الخوف..

يضعنا الخوف بين شِقّيّ الرَّحى، فلا هو يتركنا نسعى لتحقيق الأحلام، ولا هو ينسينا الأماني ومر التطلع دون الوصول، فإن سلَمنا أنفسنا للخوف، سُحِقنا، هلكنا كَتِرس أنهكه الدوران في آلات تحقيق أحلام الآخرين، وإن تجردنا مِنه، نجونا، أو على أقل تقدير أنفقنا الحياة سعيًا خلف ذواتنا. تجرد من سُلطان الخوف، وابحث عن ذاتك تجدها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تم الرفع بواسطة:

Telegram:@mbooks9

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner